جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أثر المثير الأَبرّ في التقديم عند عبد القاهر بين نظام الجملة وتنوع الدلالة

إعداد

د/ نجلاء محمود حسين أحمد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أثر المثير الأَبرّ في التقديم عند عبد القاهر بين نظام الجملة وتنوع الدلالة.

نجلاء محمود حسين أحمد

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني:naglaamahmoud.8719@azhar.edu.eg

الملخص:

هدف البحث إلى معرفة أثر المثير الأبر في دلالة التقديم عند الإمام عبد القاهر وأثره على نظام الجملة وتنوع دلالتها، سواء كان هذا المثير يرجع إلى الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الشاعر أو إلى الحالة النفسية للشاعر وقت قوله للشعر، والتي تدعوه إلى تغيير نظام الجملة، أو سنن العرب وطرائقها في التعبير التي لا يفطن لها إلا المتذوق الفاهم لأسرار الكلام؛ ولذا اشتمل البحث على ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث، وقد جاءت المباحث على النحو التالي: المبحث الأول: المثير الاجتماعي الواقعي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة، المبحث الثاني: المثير النفسي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة، المبحث الثالث: مثير سنن العرب في كلامها لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة، وخلص البحث إلى أن للإمام عبد القاهر منهجًا خاصًا في استنباط مثير دلالة التقديم، فالذي يعنيه ليس التقديم وإنما إبراز المثير الذي من أجله نطق المتكلم مقدمًا، وقد تنوع هذا المثير، ومن ثمَّ فقد أثر على نظام الجملة وتنوع دلالتها.

الكلمات المفتاحية: المثير، التقديم، عبد القاهر، نظام الجملة، تنوع الدلالة.

The effect of the most important stimulus on the presentation of Abdul Qaher between the sentence system and the diversity of meaning.

Najla Mahmoud Hussein Ahmed
Department of Rhetoric and Criticism, Islamic Girls College in Assiut, Al-Azhar University, Egypt.
Email: naglaamahmoud.8719@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aimed to know the effect of the most important stimulus in the meaning of the presentation according to Imam Abdul-Qaher and its effect on the sentence system and the diversity of its meaning, whether this stimulus is due to the social reality in which the poet lives or to the psychological state of the poet at the time of his writing poetry, which prompts him to change the sentence system, or the traditions of the Arabs and their methods of expression that only the connoisseur who understands the secrets of speech is aware of; therefore, the research included three topics preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion and an index of the research sources, The topics came as follows : The first topic: The realistic social stimulus for the meaning of the presentation between the sentence system and the diversity of meaning,The second topic: The psychological stimulus for the meaning of the presentation between the sentence system and the diversity of meaning, The third topic: The stimulus of the traditions of the Arabs in their speech for the meaning of the presentation between the sentence system and the diversity of meaning ,The research concluded that Imam Abdul-Qaher had a special method for deducing the stimulus of the meaning of the introduction, as what he meant was not the introduction but rather highlighting the stimulus for which the speaker spoke in advance, and this stimulus varied, and thus it affected the system of the sentence and the diversity of its meaning.

Keywords: Stimulus, Lntroduction, Abdul-Qaher, Sentence system, Diversity of meaning.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد ..

فإن للإمام عبد القاهر منهجه الخاص في استنباط الدلالة من التقديم، فهو يبحث عن مثير التقديم من خلال تتبع الواقع والحالة النفسية وسنن العرب في كلامها؛ لأن ذلك مقتضى البلاغة؛ ومدار الإعجاز؛ لأنه عناية بما قبل الكلام، وإبراز لخواطر النفس وأحوالها التي من أجلها نظمت الجملة على نظام خاص بها.

وقد وضح الإمام في كتابة دلائل الإعجاز مثيرات دلالة التقديم وأثرها في النظم، وكيف بها يتميز نظم عن نظم، ويعرف بها وجوه التفاوت والتباين بين كلام وآخر.

ومن هنا كان لزامًا معرفة أثر المثير في التقديم، وهذا المثير قد يتعدد في ذهن المتلقي ويتنوع ، ولكن الحمل على المثير الأبر بالتقديم والأهم له إنما هو موضع عناية عبد القاهر؛ ولذا اخترت أن يكون موضوع بحثي :

(أثر المثير الأَبرّ في التقديم عند عبد القاهر بين نظام الجملة وتنوع الدلالة)

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور منها :

١- أن الأبحاث السابقة في التقديم عنيت بالتقديم بعد التلفظ به، ومن ثم عنيت بأغراض أساليبه، أما هذا البحث فعني بمعرفة أثر المثير الذي من أجله نطق المتكلم مقدمًا فهو فيما قبل الكلام.

٢- أن مثيرات التقديم كثيرة ومتنوعة ، وهي التي تجعل المتكلم يتصرف في قوله سواء بالتقديم أو التأخير، فمعرفة هذه المثيرات وأثرها تفضي إلى معرفة حسن الكلام وبلاغته، وطرق إعجازه، ولذا كانت جديرة بالبحث .

أما عن منهجي في البحث :

فقد اتبعت المنهج الوصفي القائم على التحليل، بتتبع المثير الذي من أجله نطق المتكلم وقدم في قوله، سواء أكان هذا المثير واقعيًّا اجتماعيًّا ، أم يرجع لحالة المتكلم النفسية وقت قوله للشعر، أو تابعًا لسنن العرب في كلامها ، ثم أثر ذلك كله على نظام الجملة وتنوع دلالتها .

وقد جاء البحث كالآتي:

المقدمة : تكلمت فيها عن أهمية الموضوع و أسباب اختياري له، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد : وجاء على ثلاثة محاور :

المحور الأول بعنوان: المثير الأَبرّ لنظام الجملة في الدرس البلاغي.

المحور الثاني بعنوان: الدلالة ضابطها وأنواعها.

المحور الثالث بعنوان: منهج الإمام عبد القاهر في استنباط الدلالة.

المبحث الأول بعنوان: المثير الاجتماعي الواقعي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة.

المبحث الثاني بعنوان: المثير النفسي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة.

المبحث الثالث بعنوان: مثير سنن العرب في كلامها لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة.

الخاتمة : وتناولت فيها نتائج البحث والتوصيات.

وأخيرًا فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

١. المثير الأَبرّ لنظام الجملة في الدرس البلاغي:

إن للجملة في العربية نظامًا رئيسًا وفق مقتضى الصناعة؛ حيث تبدأ بالمسند إليه فالمسند فالمتعلقات في الجملة الإسمية، بينما تبدأ بالمسند فالمسند إليه فالمتعلقات في الجملة الفعلية .

وهذا النظام الرئيس قد يعدل عنه وفق ما يثير النفس وما يحدث في خارجها من أحوال، بالتقديم والتأخير.

وهذه المثيرات للنفس متنوعة وكثيرة إلا أن أقواها وأبرها بأحوالها هي التي تؤثر في نظام الجملة المعتاد.. ومن هنا تأتي البلاغة .

ومن ثم إذا استطاع الأديب أنْ يُلائِمَ بين المضامين الفكرية وبين الأسلوب الذي اختاره كان ذلك أكثر إعجابًا وإبداعًا.

وكذلك التَّنَقُّل بين الأساليب المختلفة كالتنقل من الخبر، إلى التساؤل، إلى الجواب، إلى التمنِّي فإلى الخبر، فإلى الحوار والمناقشة، فإلى الْجَدَلِ، فالْحَماسة، فالمنطقيّة العقليّة، فالعاصفة، فالحديثِ الهادئ، إلى غير ذلك من ألوان وفنون بيانيّة، مع شرط الملاءمة، وعدم التنافر الجمالي.

كذلك يراعي حال المخاطب ليمتلك عقله وإحساسه؛ فمع التنقّل ينبغي للأديب أنْ يكون قادرًا على الإحساس بالتحوّلات النّفسيّة لدى من يُوَجِّهُ له كلامه، ليختار من أساليب القول ما يلائم الحالة النّفسيّة التي وصل إليها.

إنّ هذه القدرة على هذا الإحساس، مع القدرة على التكيُّف السريع والانتقال إلى الأسلوب الأدبيّ الجديد الملائم، هي الوسيلة البارعة الموصلة إلى امتلاك الألباب والقلوب والنّفوس بأدب رفيع.

ومهما كان الأديب أقدر على هذا التكيُّف، مع اختيار اللّون الأدبيّ الملائم، وأقدر على استخدام مختلف الأساليب في كلامه، والتَّنَقُّل البارع بينها من

غير تكلُّف ولا قفزات منفّرات، كان أكثر أدبًا، وأرفع أسلوبًا، وأقدر على امتلاك من يُوَجِّه له كلامه.[١]

ومن أبسط قواعد الشعر التأثير " وقيل : إذا أنشدت المديح ففخّم، أو المراثي فحزّن أو من النسيب فأخضع، أو من الهجاء فسدّد وبالغ." [٢] وذلك حتى يؤثر الشاعر على مستمعيه، فإذا وجد الشاعر أن التأثير يكون بالتقديم قدم، أو يكون بالتأخير أخر، فلكل مقام مقال، كذلك إذا صادف التقديم أو التأخير الحالة النفسية وشعور الشاعر، أو صادف الواقع، فكل هذا يجعل الأديب يتصرف في شعره حسب الأحوال، والناقد البصير هو من ينظر إلى كل ذلك حين تأويله للشعر.

وقد راعى البلاغيون في حديثهم عن أبواب البلاغة عامة أثر هذا المثير الأبر في اصطفاء الأساليب، بل جعلوه عماد البلاغة، فهي عندهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما المثير الأبر إلا مقتضى الحال عند البلاغيين...

ومقتضى الحال أوسع مدى وأرحب مما عرف عند القوم بالمقام فهو يشمل السياق الكلي للنظم سواء كان خارجيًّا أو داخليًّا، ومن ثم كان المثير الأبر هو عماد فهم النظم وقصد المتكلم وأساس تأويل الدلالة.

---

(١) البلاغة العربية ج١ ص ٣٧ بتصرف . المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج١ ص١٢٥ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٢. الدلالة ضابطها وأنواعها:

جاء في اللسان :"دَلَّه عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فانْدَلَّ : سدَّده إليه، ودَلَلْته فانْدَلَّ. والدَّلِيل : مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ . والدَّلِيل : الدَّالُّ."(١)

أما المعنى الاصطلاحي :"**فالدلالة** : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"(٢)

وهذا يعني أن يكون الشيء المدلول به في حالة صالحة ومهيأة ومستساغة حتى يلزم العلم بها الدلالة على شيء آخر، فلا قصور ولا نقص بل يكون في كامل معناه.

<u>أنواع الدلالة</u> :

الدَّلَالَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى مَنْطُوقٍ وَمَفْهُومٍ.

الدَّلَالَةُ مَنْطُوقٌ، وَهُوَ : مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ، وَالْمَفْهُومُ، بِخِلَافِهِ، أَيْ لَا فِي مَحَلِّ النُّطْقِ... وَدَلَالَتُهُ اللَّفْظِيَّةُ فِي كَمَالِ مَعْنَاهَا : دَلَالَةُ مُطَابَقَةٍ، وَفِي جُزْئِهِ : دَلَالَةُ تَضَمُّنٍ . وَغَيْرُ اللَّفْظِيَّةِ : الْتِزَامٌ(٣)

فالدلالة اللفظية قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام : دلالة المطابقة ودلالة

(١) لسان العرب ج١١ ص٢٤٨ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) . الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين . الناشر: دار صادر – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٢) التعريفات ص ١٠٤ المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٣) ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ج٢ ص ٤٣١ وج١ ص١٥٢ المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: محمد مظهر بقا . الناشر: دار المدني، السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الالتزام ودلالة التضمين

١- **دلالـة المطابقـة**، وهـى الدلالـة اللغويـة، كدلالـة لفـظ الإنسـان والفـرس علـى هـاتين الحقيقتـين المخصوصـتين، وهــى دلالــة لغويــة تختلـف بـاختلاف الاصطلاحات والأوضاع.

٢- **دلالة الالتزام**، وهى التي تدل على أمر خارج غير المسمى، ومثاله: دلالة لفظ الفرس، والإنسان، على ما يكون لازمًا لهما عقلًا، نحو الكون في الجهة والحصول في الأماكن، فهذه دلالة التزامية؛ لأنه لا ينفك عما ذكرناه.

٣- **دلالـة التضمن**، وهى الدلالة على جزء من أجزائه، كدلالة الفرس والإنسان على أجزائهما.[١]

٣-منهج الإمام عبد القاهر في استنباط الدلالة:

للإمام عبد القاهر منهج خاص في استنباط الدلالة وقد تكلم عن منهجه هذا في كتابه الدلائل، فقد تكلم عن الدلالة ومثيرها، وجعل الإغفال عنها إغفالًا للبلاغة.

فعنده لا يكفي أن يقال: قدم للعناية أو لأنَّ ذكْرَه أَهمُّ، مِنْ غير أن يُذْكَر مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟ ولِتخيُّلهِم ذلك، قد صَغُر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهَوَّنوا الخَطْبَ فيه، حتى إنك لتَرى أكثرَهم يَرى تَتَبُّعَه والنظرَ فيه ضربًا من التكلُّف. ولم ترَ ظنًّا أَزرى على صاحبهِ من هذا وشبهه...

ثم وضح أن ذلك قد ذَهَبَ بهم عن معرفةِ البلاغةِ، ومنَعَهم أن يَعرفوا مقاديَرها، وصد بأوجههم عن الجهةِ التي هي فيها، والشِّقِّ الذي يَحْويها.

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٣ ص ١٨٠ المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

والمَداخِل التي تَدخُلُ منها الآفةُ على الناس في شأنِ العلم، ويَبْلُغ الشيطانُ مُراده منهم في الصدِّ عن طَلَبهِ وإحراز فضيلتهِ كثيرة، وهذه من أعجبها، وإن وجَدْتَ متعجِّبًا. (١)

فالإمام في قوله هذا بين جوهر البلاغة في معرفة المثير الأول لدلالة التقديم، فالذي يعني الإمام أن يبحث عن السبب وراء التقديم للعناية؛ لأن ذلك هو مقتضى البلاغة، وهذا ليس بالأمر الهين كما يقول الإمام: " وليتَ شِعْري، إن كانت هذه أموراً هيِّنة، وكان المدى فيها قريباً والجَدى يسيراً، من أينَ كانَ نَظْمٌ أشرَفَ من نَظمٍ؟ وبِمَ عَظُمَ التفاوتُ، واشتدَّ التباينُ، وترَقَّى الأمرُ إلى الإعجازِ، وإلى أن يَقْهر أعناقَ الجبابرة؟ أو ههنا أمورٌ أُخَر نُحيلُ في المزيّةِ عليها، ونَجْعلُ الإعجازُ كان بها، فتكونَ تلكَ الحوالةُ لنا عذْرًا في تركِ النَّظرِ في هذهِ التي معنا، والإعراضِ عنها، وقلَّة المبالاةِ بها؟ أَوَ ليس هذا التهاونُ، إنْ نَظَر العاقلُ، خِيانةً منه لِعقله ودينهِ، ودخُولاً فيما يُزري بذي الخَطَر، ويغضُّ من قَدْر ذَوي القَدر؟"(٢)

فالمثير لدلالة التقديم _ كما فهم من كلام الإمام _ هو الذي يميز نظمًا عن نظم، وبه يعرف التفاوت والتباين، ومن هنا جاءت حتمية البحث عن هذا المثير الأبر بالمقام والشعر وأثره على نظام الجملة ودلالتها، من خلال تتبع سياق البيت وواقع الشاعر المحيط به، وحالته النفسية وقت قوله للشعر.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني ص ١٠٨– ١٠٩ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر . الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة . الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) السابق ص ١٠٩

المبحث الأول

المثير الاجتماعي الواقعي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة

من الروافد التي يستقي منها الشاعر شعره الواقع الذي يعيش فيه، فالشاعر عادة يصف ما تقع عليه عينه قال ابن طباطبا العلوي: "إن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها. "(١)

إن هناك تبادلًا في التأثير بين الأديب ومجتمعه في استخدام اللغة... فالأديب يتأثر بالحياة الخارجة السائدة في بيئته، القائمة في مجتمعه، وهو يستمد أدبه من حياة هذا المجتمع.(٢)

ومن هنا يتأثر البناء التركيبي في شعره بواقعه الاجتماعي، فيكون هناك ملاءمة ومواءمة بين واقعه ونظمه ودلالته .

وتتاسق البناء التركيبي نظمًا ودلالة وتناسبه يجعل النظم كُلًّا واحدًا لا تعارض فيه بين تركيب في بعض أجزائه مع دلالة في البعض الآخر.

وقد تكلم الإمام عبد القاهر عن ذلك فقال:" في النظم يتحد فيه الوضع، ويدق فيه الصنع واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أن يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ، في توخِّي المعاني التي عرفتَ : أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في

(١) عيار الشعر ص١٦ . محمد أحمد بن طباطبا العلوي . تحقيق عباس عبد الساتر . مراجعة نعيم زرزور . منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط٢ . ٢٠٠٥ م ١٤٢٦هـ.

(٢) ينظر: الأدب وفنونه – دراسة ونقد ص ٢٥ . المؤلف: عز الدين إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٨هـ) الناشر: دار الفكر العربي.

حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هناك. نَعم، وفي حالِ ما يُبْصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يَضعُهما بَعْدَ الأَوَّلَيْن. وليس لِما شأْنهُ أن يجيءَ على هذا الوصفِ حَدٌّ يَحْصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ." (١)

وعن المثير الواقعي للتقديم تكلم النحويون حين ذكروا تقديم المفعول على الفاعل؛ لأن المفعول هو الذي يعنيهم، فيجب أن نعرف الغرض من الكلام "قال النحويون : إنَّ معنى ذلك أَنه قد يكونُ من أغراض الناس في فعلٍ ما أنْ يَقَع بإنسانٍ بعينهِ، ولا يُبالون مَنْ أَوْقَعَه، كَمِثل ما يُعلمُ مِنْ حالِهم في حالِ الخارجيِّ يَخْرُج فيعيثُ ويُفْسِد، ويَكْثُرُ به الأذى، أَنهم يُريدون قتله، ولا يُبالون مَنْ كانَ القتلُ منه، ولا يَعْنيهم منه شيءٌ. فإذا قُتل، وأرادَ مُريدٌ الإخبارَ بذلك، فإنه يُقدِّم ذكرَ الخارجيَّ فيقول" :قَتَلَ الخارجيَّ زيدٌ"، ولا يقول: "قتلَ زيدٌ الخارجيَّ"؛ لأنه يعلم أنْ ليس للناسِ في أنْ يعلموا أنَّ القاتلَ له " زيدٌ " جَدْوى وفائدةٌ، فيَعْنيهم ذكْرُه ويهمُّهُمْ ويتَّصلُ بمسَرَّتِهم ويَعْلم مِن حالِهم أَنَّ الذي هم متوقِّعون له ومُتَطلّعون إليه متى يكونُ، وقوعُ القتلِ بِالخارجي المُفْسِد، وأَنهم قد كفُوا شرَّه وتخلَّصوا منه."(٢)

فالمثير الاجتماعي الواقعي للتقديم في هذا الشاهد بيّن؛ ذاك أن المجتمع قد كفاه أمر الخارجي لكثرة فساده وأذاه ، فإذا أخبر أحدهم عن قتله فإنه يقدمه في الذكر _ وإن كان مقتولًا حقه التأخير _ مراعاة لتشويق المجتمع إلى سماع أمره.

وهذا الاعتبار المجتمعي متنوع الصور ومتعدد المظاهر فهو فيما سبق حدد المجتمع بفرد من أفراده، ومن ثم تشوفه لسماع خبر مقتله فيغير المتكلم نظام الجملة فيقدمه مراعاة لذلك الواقع الذي يعيشه المجتمع.

(١) الدلائل ص٩٣.

(٢) الدلائل ص ١٠٧– ١٠٨.

وقد يكون المثير الاجتماعي للتقديم عند الإمام مبنيًّا على أمر مركوز في الاعتقاد وإن كان غير واقع إجراء له مجرى الواقع.

ذلك أن هناك اعتقادًا راسخًا عند العرب في الغول وأنيابها وما يستلزم ذلك من التخويف بها، ومن المنعة والحرز من التهديد لمن احتمى بآلات تشبهها، وهذا ما راعاه امرؤ القيس في تقديم الفعل عند تعلقه بهذا المثير في قوله :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ∴ ومسنونة زرق كأنياب أغوال[(١)]

(من الطويل)

ذكر الإمام هذا الشاهد حين تكلم عن تقديم الفعل المضارع مع الاستفهام عند إرادة الحال فقال: " إذا قلت " أتفعل ؟ " كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله، وكمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن "[(٢)]

ثم قال معلقًا على الشاهد: " فهذا تكذيبٌ منه لإنسانٍ تهَدَّدَهُ بالقتل، وإنكارٌ أن يَقْدر على ذلك ويَستطيعَه. ومثْلُه أن يَطمعَ طامعٌ في أمرٍ لا يكونُ مثْلَهُ، فتُجهِّله في طمعهِ فتقول" : أيرضى عنكَ فلانٌ وأنتَ مقيمٌ على ما يَكرهُ؟

---

(١) الدلائل ص ١١٧ .

البيت في ديوان امرئ القيس ص١٣٥ـ المؤلف: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي . الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

والمشرفي : المَشارِفُ : قُرًى مِنْ أَرض الْيَمَنِ، وَقِيلَ : مِنْ أَرض الْعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرِّيف، والسُّيُوفُ المَشْرَفِيّةُ مَنْسوبة إِلَيْهَا . يُقَالُ : سَيفٌ مَشْرَفِيّ، وَلَا يُقَالُ مَشارِفِيٌّ لأَن الْجَمْعَ لَا يُنسب إِلَيْهِ إِذَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَزْنِ، لَا يُقَالُ مَهالِبِيّ وَلَا جَعَافِرِيٌّ وَلَا عَباقِرِيٌّ . لسان العرب ج٩ ص ١٧٤.

زرق : نَصْلٌ أَزْرَقُ بيِّنُ الزَّرَق : شَدِيدُ الصَّفاء؛ .... وَتُسَمَّى الأَسِنَّةُ زُرْقًا لِلَوْنِهَا. لسان العرب ج١٠ ص ١٣٩.

(٢) الدلائل ص ١١٦.

أتَجِدُ عندَه ما تُحبُّ وقد فَعلتَ وصنَعْت؟" ، وعلى ذلك قولُه تعالى:﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (١)" (٢)

فمثير دلالة التقديم في البيت هو الواقع فقد جاءت الجملة الحالية (والمشرفي مضاجعي) مضادة للفعل المقدم؛ وذلك لأن هناك ما يمنع من وقوع الفعل في الواقع، فهو مثير لإنكار الفعل وتكذيبه، فلن يكون هناك قتل ما دام أنه يضاجع هذه السيوف المصقولة والنبال المسنونة؛ فجاء التقديم مع الجملة الحالية للدلالة على ذلك.

قال العلوي: " كأنه أراد تكذيبه وأنه لا يقدر على ما قاله ولا يستطيعه "(٣).

والإمام عبد القاهر يؤكد أن مثير الدلالة يمنع دخول غير الدلالة حيث ارتأى إنه من المُحال أنْ تَزعم أنَّ المعنى في قولِ الرجلِ لصاحبهِ" : أتَخْرجُ في هذا الوقتِ؟ أتغرِّرُ بنفسكَ؟ أتمضي في غيرِ الطريق؟، أنَّه أنكَرَ أنْ يكونَ بمثابةِ مَن يفعلُ ذلك، وبموْضعِ من يجيء منه ذاكَ؛ لأنَّ العِلمَ مُحيطٌ بأنَّ الناسَ لا يُريدونه، وأنَّه لا يَليقُ بالحالِ التي يُستعملُ فيها هذا الكلامُ . وكذلك مُحالٌ أن يكونَ المعنى في قولِهِ جلَّ وعلا: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ ، أنَّا لسْنا بمثابةِ مَنْ يجيءُ منه هذا الإلزامُ، وأنَّ غيرَنا مَنْ يَفعله، جلَّ الله تعالى.

وقد يَتوهَّمُ المتوهمُ في الشيءِ مِن ذلك أنه يحتملُ، فإذا نَظَر لم يَحْتمل، فمِنْ ذلك قولُه:

أيقتلُني والمشرفيُّ مُضاجِعي

وقد يَظنُّ الظانُّ أنه يَجوز أن يكونَ في معنى أنه ليس بالذي يَجيء منه

(١) هود من الآية ٢٨.

(٢) الدلائل ص ١١٧.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٢ ص١٠٩.

أن يَقْتلَ مثْلي، ويَتعلَّق بأنه قالَ قَبْلُ:

يَغِطُّ غَطيطَ البَكر شُدَّ خِنَاقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي والمرءُ ليسَ بقتَّالِ

ولكنــهُ إذا نظَــر عَلِــمَ أنَّــه لا يَجــوز، وذاكَ لأنــه قــال: والمشــرفيُّ مضاجِعي "فذكَرَ ما يكونُ مَنْعًا منَ الفعل، ومحالٌ أن يقولَ" : هو ممَّنْ لا يَجيءُ منه الفعلُ"، ثم يقولُ" : إني أَمنعُهُ"؛ لأنَّ المَنْعَ يُتَصَوَّر فيمن يَجيءُ منه الفعلُ، ومَع مَنْ يَصِحُّ منه، لا مَنْ هو منه مُحالٌ، ومَن هو نفسه عنه عاجز، فاعرفه.(١)

فضلًا على أن الجملة الحالية جاءت إسمية فكانت آكد من الجملة الفعلية وأدعى إلى نفي الفعل؛ لأنها تتضمن معنى الثبوت والدوام، إلى جانب ذلك أن فيها يكون الإسناد إلى المسند قد حصل مرتين: مرة إلى الاسم الظاهر على أنه مبتدأ، ومرة إلى ضميره على أنه الفاعل، وبذلك ازداد الكلام تأكيدًا.

وقد تلاءم هذا المثير الواقعي مع دلالة التقديم إلى جانب اختيار الألفاظ المناسبة التي تدعم المثير، ومن ذلك اختيار الشاعر لكلمة (المشرفي) بدلًا من كلمة (السيف) ؛ ليدلل على حدة السيوف وقوتها، ثم قال: (مضاجعي)، ولم يقل: (ملازمني) مثلًا ليوحي بأن هذا السيف يكون معه حتى في وقت النوم على جهة الثبوت والدوام، دل على ذلك الاسمية في لفظ (مضاجعي) فهو لم يعبر بالفعل (يضاجعني) أو (ضاجعني) حتى لا يقيد ذلك بزمن معين؛ فمضاجعة السيف له تلازمه في كل الأوقات، ثم وصف نصال النبل بكلمة (مسنونة) ، مما دلل على زيادة قوتها وحدتها، بحيث تصيب من تصيب في مقتل، ثم ترقى في الوصف فوصفها بكلمة (زرق) فهي حادة شديدة الصفاء. ثم وصل في الوصف إلى منتهاه "فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها"(٢)، فنجد المشبه به

(١) ينظر: الدلائل ص ١١٩.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج١ ص٢٨٨ . المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) . المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد . الناشر: =

نادر الحضور في الذهن لكونه شيئًا وهميًّا[1]، ومع كون المشبه به وهميًّا إلا إنه كان يثير الرعب في النفوس؛ فلذلك شبه به ليثير الرعب في نفس كل من تسول له نفسه الاعتداء عليه، ولذا لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

وهكذا جاء المثير الواقعي لدلالة التقديم يعاضده اختيار الكلمات والصورة؛ فتناغم البناء التركيبي نظمًا ودلالة؛ فجاء النظم كله بناءً واحدًا.

وقد يكون المثير للتقديم عند الإمام في صورة اجتماعية أخرى مبنية على ما تعاهدوه بينهم فشب عليه صغارهم من حفظ الود.

=

دار الجيل . الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(١) ينظر: مفتاح العلوم ص٣٥٢ . المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) . ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

وعليه حمل الإمام المثير للتقديم في قول عُمَارَة بن عَقِيْلٍ[١]:

أأتـرك أن قلَّـت دراهـم خالـد[٢] ∴ زيارتـــه ؟ إنـــي إذاً للئـــيم[٣]

(من الطويل)

ووجه الحمل هو وجود ما يمنع من حدوث الفعل (أن قلَّت دراهم خالد) فهذا لا يكون، فهو ينكر ذلك، والمانع منه موجود في الواقع، فالمثير هو الواقع المنافي للفعل المقدم (أأترك) وهو بقاء الود وحفظه، هو الذي أثار دلالة التقديم في البيت، ومن ثم يكون إنكار تركه في حال قلت دراهمه .

---

(١) البيت لعمارة بن عقيل ص ٧٥ ، ينظر: ديوان عامر بن عقيل (ت٢٣٩هـ) . جمعه وحققه وحققه شاكر العاشور . الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، كما ورد البيت منسوبًا لعمارة بن عقيل في كتب اللغة والأدب، ينظر: الكامل في اللغة والأدب ج١ ص ٢٤٨ـ المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) . المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني ٧٠/١

و الدر الفريد وبيت القصيد ج٢ ص٤٨ . المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ – ٧١٠ هـ) . المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: ١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

(٢) خالد هو : خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة، أبو يزيد الشيبانيّ: أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي. وهو ممدوح أبي تمام. ولاه المأمون مصر (سنة ٢٠٦ هـ) . ينظر الأعلام ٢/ ٣٠١ . لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) . الناشر: دار العلم للملايين . الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

(٣) الدلائل ص ١١٧.

لأم : اللُّؤْم: ضِدُّ العِتْقِ والكَرَمِ . واللَّئِيمُ : الدَّنيءُ الأَصلِ الشحيحُ النَّفْسِ، وَقَدْ لَؤُمَ الرجلُ، بِالضَّمِّ، يَلْؤُمُ لُؤْمًا، عَلَى فُعْلٍ، ومَلاَمَةً عَلَى مَفْعَلةٍ، وَلآمَةً عَلَى فَعالةٍ، فَهُوَ لَئِيمٌ مِنْ قَوْمٍ لِئَامٍ ولُؤَماءَ، لسان العرب ج١٢ ص ٥٣٠.

قال الإمام: "وإن أردتَ بـ" تَفْعلُ " المستقبلَ، كان المعنى إذا بدأْتَ بالفعلِ على أنك تَعْمد بالإنكارِ إلى الفعل نفسه، وتَزعم أنه لا يكونُ، أو أنَّه لا ينبغي أن يكون"(١)

كما قال العلوي" أن تكون الجملة مصدرة بالفعل كقولك: أتفعل هذا في أمر مستقبل، ويكون معناه إنكار الفعل نفسه، وتزعم أنه غير كائن، وأنه لا ينبغي أن يكون أبدًا"(٢)

فالمثير الواقعي هو الذي مهد لدلالة التقديم ولو لم يوجد لتغيرت الدلالة، هذا إلى جانب اختيار الشاعر لكلماته وجمله بعناية لتتناسب مع المثير لدلالة التقديم، ومن ذلك أنه بدأ بهذا الاستفهام الإنكاري التكذيبي بالهمزة في قوله: (أأترك) وهو إنكار تكذيبي للمستقبل بمعنى (لن يكون ذلك أبدًا) كما ذكر.

ثم عبر بالترك في قوله: (أأترك) لما في الترك من معنى التخلية والمجانبة(٣)، وصيغة المضارع أتى بها ليدلل على استمرار ذلك وتجدده، فهو لن يتخلى عنه أبدًا مهما حدث.

وقيد الترك بجملة (أن قلت دراهم خالد)؛ ليوحي بمروءته فهو لا يصاحب الرجل لكثرة ماله ويتركه عند قلته، بل هو ذلك الرجل الشهم الذي يبقى بجانب صاحبه مهما نزل به من نوازل الدهر، يسانده ويعاضده.

ولكي يحضر المتحدث عنه في ذهن السامع باسمه فيتميز أكمل تمييز وليمحض للحديث عنه دون غيره، عرفه بالعلمية فقال: (خالد).

وخص الزيارة بالذكر دون غيرها في قوله: (زيارته) حتى لا يتوهم السامع إنه لن يترك صداقته مثلًا ولكن لن يزوره؛ لأن الشعراء في الغالب يزورون من

---

(١) الدلائل ص ١١٦.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٢ ص ١١٠.

(٣) ترك : التَّرْكُ: وَدْعُك الشَّيْءَ، تَركه يَتْرُكه تَرْكًا واتَّركه . وتَرَكْتُ الشيءَ تَرْكًا : خَلَّيْتُهُ. لسان العرب ج١٠ ص ٤٠٥.

يمدحونهم لنوال عطاياهم؛ فأكد أنه سيستمر على مداومة زيارته حتى وإن أصبح فقيرًا معدمًا.

والأكثر من ذلك أنه قال أنه سيرتضي أن يتصف باللؤم إن لم يزره فقال: (إني إذا للئيم) أي: إن حدث أن تركت زيارته فمن المؤكد سأكون لئيمًا، وقد أتى بهذه الجملة إسمية مؤكدة بأكثر من مؤكد؛ ليدلل على تأكيد اتصافه باللؤم ودوام ذلك وثبوته، فهذا عار سيلحقه طيلة حياته.

كل ذلك محض لتقديم الفعل فالمثير الواقعي هو الذي أثار دلالة التقديم ومحض لها.

وقد يكون المثير الاجتماعي عند الإمام مصورًا لطوائف المحبين وواقعهم،وما لها من خصوصيات أحوال تؤثر في نظام الجملة عند الإخبار عنهم.

ومن الشواهد البينة في ذلك المثير الواقعي الذي أثار دلالة التقديم كما قال الإمام: "ومما هو مثالٌ بيِّن في أنَّ تقديمَ الاسم يقتضي وجود الفعل" [١] قول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ∴ ولا أنا أضرمت في القلب نارا[٢]

(من المتقارب)

---

(١) الدلائل ص ١٢٥.

(٢) رواية الديوان : وما أنا أسقمت جسمي به وما أنا أضرمت في القلب نارا

ديوان أبي الطيب المتنبي ج٢ ص ٩٥ بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان . ضبطه وصححه مصطفى السقا و إبراهيم الإنباري وعبد الحفيظ شلبي . الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان.

سقم :السَّقامُ والسُّقْمُ والسَّقَمُ: المَرَض، لُغَاتٌ مِثْلَ حُزْنٍ وحَزَنٍ، وَقَدْ سَقِمَ وسَقُمَ سُقْماً وسَقَماً وسَقامًا وسَقامَةً يَسْقُمُ، فَهُوَ سَقِم وسَقِيمٌ. لسان العرب ج١٢ ص٢٨٨.

ضرم : الضَّرَمُ: مَصْدَرُ ضَرِمَ ضَرَمًا . وضَرِمَت النارُ وتَضَرَّمَتْ واضْطَرَمَت : اشْتَعَلَتْ والْتَهَبَتْ، واضْطَرَمَ مَشِيبهُ كَمَا قَالُوا: اشْتَعَلَ. لسان العرب ج١٢ ص٣٥٤.

فالسقم موجود بالفعل في الواقع وكذلك إضرام النار، وإن لم يوجد هو ذلك وإنما أوجده غيره، فوجود هذا الذي يضني الشاعر ويحرق فؤاده ويعذبه في الواقع وهو ليس له ذنب فيه هو الذي دعاه للتقديم، فهذا المثير الواقعي هو الذي محض لدلالة التقديم.

"فقوله: ما أنا أسقمت جسمي، معناه أن هذا السقم الكائن في جسمي، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري، وقوله: ولا أنا أضرمت في القلب نارًا أي: أن هذا الجوى، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أشعله أنا، ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه المشبوبة، والتي سببت هذا السقم وهذا الوجد، وكأنه يقول: لو كان الأمر بيدي لأنقذت نفسي من هذا الذي أجده ولكن لا طاقة لي في بذلك، وهذا معنى جيد".(١)

قال الأمام:" إذا قلْتَ:" ما فعلتُ"، كنْتَ نَفَيْتَ عنك فِعْلاً لم يَثْبتْ أَنه مفعولٌ وإذا قلتَ:" ما أنا فعلْتُ"، كنتَ نفيت عنك فعلًا يثبت أَنه مفْعُولٌ"(٢)

ثم قال معقبًا على الشاهد: "المَعنى، كما لا يَخفي، على أن السُّقمَ ثابتٌ موجودٌ، وليس القصدُ بالنفي إليه، ولكنْ إلى أن يكونَ هو الجالبَ له، ويكونَ قد جرَّه إلى نفسه"(٣)

فالشاعر إذ يقول:" وما أنا أسقمت نفسي بذلك الهم مختارًا للسقم، ولا ألمت نفسي به مؤثرًا للألم، ولا أنا أضرمت في قلبي تلك الجمرة، ولا ألزمت نفسي تلك اللوعة، ولكني دفعت إلى ذلك على غير قصد، وامتحنت به على غير

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص ٢٢٩ المؤلف: محمد محمد أبو موسى . الناشر: مكتبة وهبة . الطبعة: السابعة .

(٢) الدلائل ص ١٢٤.

(٣) الدلائل ص ١٢٥.

عمد".[١]

فهو يقر بالواقع ويثبت وجود السقم ليمحض لنفسه أن ينفي كونه الفاعل له، ولذا قدم ضمير التكلم منفيًّا .

والسياق أيضًا يدلل على ذلك إذ يقول بعد هذا البيت :

فلا تُلْزِمَنِّي ذُنوبَ الزمانِ ∴ إِلَيَّ أساءَ وإيَّايَ ضَارا[٢]

"فيقول لسيف الدولة: فلا تلزمني بالتأخر عن الشعر ذنوباً أحدثها الزمان، بتعاقب خطوبه، وتكرر صروفه، فإلي أساء بكثرتها، وإياي ضار بشدتها"[٣]

فقد نفى أن يكون هو الفاعل لذلك الفعل الثابت وجوده في الواقع وأثبت ذلك لصروف الزمان وكثرة خطوبه.

فالمثير الواقعي هو الذي أثار دلالة التقديم كما هو واضح في الشاهد.

وقد اختار الشاعر الأساليب التي تحقق غرضه، فقد آثر التعبير بالفعل الماضي في قوله (أسقمت، وأضرمت) ليثبت تحقق وقوع السقم والإضرام ، فوجودهما محقق واقع، والجمع بين السقم وإضرام النار يصور بدقة معاناة الشاعر وشدة آلامه الجسدية والنفسية .

كما قال (في القلب) باستخدام حرف الوعاء (في) ليفيد استقرار ذلك الإضرام داخل القلب وتمكنه منه مما يزيد آلامه وحرقته.

وجاءت كلمة (نارا) نكرة للتعظيم والتفخيم من شأن تلك النار؛ فهي نار

---

(١) شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول ج٢ ص ١٣٧ المؤلف: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفليلي (المتوفى: ٤٤١هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان . الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي ج٢ ص ٩٥.

(٣) شرح شعر المتنبي السفر الأول ج٢ ص ١٣٧.

عظيمة شديدة الحرقة .

وألف الإطلاق التي أطلقها الشاعر في نهاية القافية (نارا) تدل على ضجره الشديد، فقد أطلق تلك الألف لعله يخرج بها اللهيب المندلع في جوفه ولينفس بها عما بداخله .

ويقاس على هذا البيت الشاهد التالي كما قال الإمام " ومثله في الوضوح قوله :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعرَ كلَّه[1] **(من الطويل)**

فالمثير الواقعي لدلالة التقديم هو كون الشعر مقولًا بالفعل فهو واقع موجود. يقول الإمام :" الشعرُ "مَقولٌ على القَطْع، والنفي لأنْ يكونَ هو وحده القائل له"[2]

والشطر الثاني للبيت : **ولكن لشعري فيك من نفسه شعر** [3]

المعنى:" أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر ولكن شعري أعانني على مدحك؛ لأنه أراد مدحك كما أردته"[4]

فالشاعر إذ قدم ضمير المتكلم المنفي" ينفي أن يكون هذا الشعر الكائن قد قاله وحده، وإنما قاله معه غيره"[5] فالواقع هو الذي أثار دلالة التقديم، فالشعر مقول بالفعل وموجود لا ينكر، ولولا ذلك لتغيرت الدلالة.

---

(١) الدلائل ص ١٢٥.

والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي ج٢ ص١٥٨.

(٢) الدلائل ص ١٢٥.

(٣) هامش الدلائل ص ١٢٥.

والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي ج٢ ص١٥٨.

(٤) هامش الديوان ج٢ص١٥٨.

(٥) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص ٢٣٠

وقد تضافر المثير الواقعي مع حسن اختيار الشاعر لألفاظه وأساليبه، ومن ذلك أن الشاعر لم يكتف بضمير المتكلم المنفي ولكن قال: (وحدي) ليؤكد على أن غيره شاركه في قول هذا الشعر الكائن الماثل أمام المخاطب.

والتعبير بالماضي (قلت) يؤكد تحقق وجود الشعر مقولًا، ولا سيما أنه أشار إليه بقوله (ذا الشعر) واستخدم اسم الإشارة ليحضر المشار اليه أمام السامع كأنه مشاهد محسوس، كما أن التعبير باسم الإشارة للقريب لتعظيم المشار إليه، فهو شعر عظيم ليتناسب مع عظمة الممدوح .

وأيضا قال: (كله) لسلب العموم[١]، فقد قال بعض هذا الشعر والبعض الآخر شاركه فيه غيره، وقد أثبت ذلك بالاستدراك في الشطر الثاني بقوله: (ولكن لشعري فيك من نفسه شعر)، ثم هذا التجريد الذي دل على أن شعره بلغ من الكمال حدًّا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيه كما قال السبكي في عروس الأفراح[٢]؛ فالشعر نفسه أراد مدح الممدوح فشارك القائل في القول، ليصبح الشعر شعرين والقائل قائلين وذلك للمبالغة في المدح.

فهذا الواقع الذي أراد الشاعر أن يثبته هو الذي أثار دلالة التقديم ولولا ذلك لتغيرت الدلالة.

ولينبه الإمام إلى أثر الواقع لعادات طوائف الشجعان والفرسان في تغيير نظام

(١) سلب العموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم. السابق ص ١٢٤

(٢) قال السبكي: التجريد؛ وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها؛ مبالغة لكمالها فيه... نحو قولهم: لى من فلان صديق حميم، أي: بلغ فلان من الصداقة حدًّا صحّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها . ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج٢ ص٢٥٦ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي . الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

الجملة في التقديم ذكر قول الشاعر[١]

هُـمُ يُفْرِشُـونَ اللِّبْـدَ كُـلَّ طِمِـرَّةٍ ∴ وأَجْرِدَ سبَّاحٍ يَبُذُّ المُغَالِبا [٢]

(من الطويل)

فقولـه: يفرشون اللبد بضم الياء، أي يجعلون اللبد فراشًا لظهر كل رمكة وثابة، وكل فحل كريم سباح في عدوه، غلاب لمباريه في الغلو، سباق في الرهان

---

(١) البيت منسوب للمعذل بن عبد الله الليثي. ينظر: شرح ديوان الحماسة ص ٣٥٨ (ديوان الحماسة): اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ) . المؤلف: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ) الناشر: دار القلم – بيروت.

(٢) اللبد: لَبَّد الشعَر وَالصُّوفُ والوَبَر والتَبَدَ : تداخَلَ ولَزِقَ. وكلُّ شَعَرٍ أَو صُوفٍ مُلْتَبِدٍ بعضُه عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ لِبْد ولِبْدة ولُبْدة،. لسان العرب ج٣ ص٣٨٦.

والطِّمِرُّ: بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، والطِّمْرِيرُ والطُّمْرورُ : الفرسُ الجَوادُ، وَقِيلَ : المُشَمَّر الخَلْق، وَقِيلَ : هُوَ المستفزُّ للوَثْبِ والعَدْوِ، وَقِيلَ : هُوَ الطَّوِيلُ الْقَوَائِمِ الْخَفِيفُ، وَقِيلَ : المستعدُّ للعَدْوِ، والأُنثى طِمِرَّةٌ؛ وَقَدْ يُسْتَعَارُ للأَتان. لسان العرب ج٤ ص٥٠٣.

والأَجْرَدُ مِنَ الخيلِ والدوابِّ كلِّها : القصيرُ الشعرِ حَتَّى يُقَالَ إِنه لأَجْرَدُ الْقَوَائِمِ . وَفَرَسٌ أَجْرَدُ : قَصِيرُ الشَّعْرِ، وَقَدْ جَرِدَ وانْجَرَدَ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ العِتْق والكَرَم. لسان العرب ج ٣ ص١١٦.

سباح : سَبْحُ الفَرَسِ : جَرْيُه . وَفَرَسٌ سَبُوحٌ وسابِحٌ : يَسْبَحُ بِيَدَيْهِ فِي سَيْرِهِ . والسَّوابِحُ : الْخَيْلُ لأَنها تَسْبَح، وَهِيَ صِفَةٌ غَالِبَةٌ.... قَالَ ابْنُ الأَثير: هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَرَسٌ سابِحٌ إِذا كَانَ حسنَ مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الجَرْي. لسان العرب ج٢ ص ٤٧٠.

يبذ: الْعَرَبُ تَقُولُ : بَذَّ فُلَانٌ فُلَانًا يَبُذُّه بَذًّا إِذا مَا عَلَاهُ وَفَاقَهُ فِي حُسْنٍ أَو عَمَلٍ كَائِنًا مَا كَانَ. لسان العرب ج٣ ص٤٧٧.

المغالبا : تَغَلَّبَ عَلَى بَلَدِ كَذَا: اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَهْرًا، وغَلَّبْتُه أَنا عَلَيْهِ تَغْلِيبًا. محمدُ بنُ سَلَّامٍ: إِذا قَالَتِ الْعَرَبُ: شَاعِرٌ مُغَلَّبٌ، فَهُوَ مَغْلُوبٌ؛ وإِذا قَالُوا: غُلِّبَ فلانٌ، فَهُوَ غَالِبٌ. وَيُقَالُ: غُلِّبَتْ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة عَلَى نابِغة بَنِي جَعْدَة، لأَنها غَلَبَتْه، وَكَانَ الجَعْدِيُّ مُغَلَّبًا. لسان العرب ج١ ص٦٥٢.

يحوز قصب التقدم والعلو... ومراد الشاعر أن سعيهم مقصور على تفقد الخيل وخدمتها، والتفرس على ظهورها(١)

يقول الإمام في تعليقه على البيت: " لم يُرِدْ أنْ يدَّعي لهم هذه الصفةَ دَعْوى مَنْ يُفرِدُهم بها، ويَنصُّ عليهم فيها، حتى كأنهُ يُعرِّضُ بقومٍ آخرين، فينْفي أن يكونوا أصحابَها. هذا مُحال. وإنَّما أرادَ أن يصِفَهم بأنهم فرسانٌ يَمتهِدون صَهَواتِ الخيلِ، وأنهم يَقْتعدون الجِيادَ منها، وأنَّ ذلك دأبُهُم، من غير أن يَعْرض لِنفْيه عن غَيرهم، إلَّا أنه بدأَ بذكرِهم لِيُنبِّه السامعَ لهم، ويُعْلِمَ بَدِيًّا قصْدَه إليهم بما في نفسهِ من الصفة، ليمنَعَه بذلك من الشكّ، ومِنْ توهُّم أن يكونَ قد وصفَهم بصفةٍ ليستْ هي لهم، أو أن يكونَ قد أرادَ غيرَهم فغَلِط إليه". (٢)

فمثير دلالة التقديم هو المثير الواقعي المعتاد من تلك الطائفة.

وكما أثر ذلك المثير على نظام الجملة وترتيبها، أثر كذلك على اختيار الشاعر لكلماته وتنوع دلالتها؛ فقال: (هم) في قوله: (هم يفرشون) بضمير الجمع؛ لأن كلهم يفعلون ذلك صغيرهم وكبيرهم، وعبر بالمضارع (يفرشون)؛ لاستحضار تلك الصورة أمام المستمع فهي صورة تتجدد وتحدث باستمرار لا تنقطع.

وقال: (اللبد) ليوحي بأنهم يريحون الفرسان حيث يفرشون لهم هذا البساط من الصوف على ظهر الفرس، فيثبت الفارس على ظهر فرسه ويستريح في جلسته.

وقال: (كل طمرة) للعموم فهم لا يتركون ظهر فرس إلا ويفرشون عليه هذا البساط، وهذا يدل على ترفهم وحرصهم على راحة فرسانهم.

ثم جاءت أوصاف الخيل بعد ذلك: (طمرة ، وأجرد ، وسباح ، ويذ

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة ص٢٣٦ –٢٣٧.

(٢) الدلائل ص ١٢٩– ١٣٠.

المغالبا)؛ لتوحي بقوة وأصالة الأفراس لديهم فهم لا يقتنون أي فرس، ولكن يقتنون الفرس الجواد، المشمر الخلق، المستفز للوثب والعدو، الطويل القوائم الخفيف القصير الشعر السابح في جريه الذي يغلب الجميع ويسبقهم، وجاء بهذه الأوصاف (طمرة أجرد وسباح) أسماء للدلالة على ثبوت هذه الأوصاف وعدم تغيرها، فهي ملازمة للفرس، وعبر بالجملة الفعلية المضارعة (يبذ المغالبا) لتجدد هذه الغلبة واستمرارها، ثم هم لا يفوزون على الخامل أو الضعيف بل يفوزون ويتغلبون على (المغالبا) الذين من عاداتهم الفوز وقهر غيرهم.

كل هذه الأوصاف تنبئ بأصالة الخيل وقوتها، ومن ثم يتحقق للممدوحين النصر على أعدائهم لاقتنائهم مثل تلك الخيل. فالشاعر بالتقديم وباستخدامه هذه الألفاظ والأساليب قد أكد الواقع وحققه، مما جعل هذا المثير هو الأبر بدلالة التقديم في البيت.

وعلى ذلك قول الآخر(١):

هم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سبائب(٢)

(من الطويل)

وصفهم بأنهم يطلبون الرؤساء في الحرب بالقتل والنكاية، دون الأوساط

(١) الدلائل ص ١٣٠.

(٢) البيت منسوب في كتب الأدب واللغة للأخنس بن شهاب التغلبي . ينظر المفضليات ص٢٠٧ . المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) . تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون . الناشر: دار المعارف . القاهرة . الطبعة: السادسة.

وكتاب الاختيارين ج١ ص١٤٥ . المؤلف: علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (المتوفى: ٣١٥هـ) . المحقق: فخر الدين قباوة . الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

كَبْشُ القومِ: رئيسُهم وسيِّدُهم، وَقِيلَ: كَبْش القومِ حامِيتُهم والمنظورُ إِليه فِيهِمْ، أَدخل الْهَاءَ فِي حَامِيَةٍ لِلْمُبَالَغَةِ. وكَبْشُ الكتيبةِ: قائدُها. لسان العرب ج٦ ص٣٣٨.

والبَرْقُ: وَاحِدُ بُروق السَّحَابِ. والبَرقُ الَّذِي يَلمع فِي الْغَيْمِ، وَجَمْعُهُ بُروق. السابق ج١٠ ص١٤.

البَيْضة: مِنَ السِّلَاحِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لأَنها عَلَى شَكْلِ بَيْضة النَّعَامِ. وابْتَاضَ الرَّجُلُ: لَبِسَ البَيْضةَ. وَفِي الْحَدِيثِ: لَعَنَ اللَّهُ السارقَ يَسْرِقُ البَيْضةَ فتُقْطَعُ يدُه، يَعْنِي الخُوذةَ. السابق ج٧ ص١٢٥.

والعجزة والسقاط .[١]

فيقول: إنهم في الحروب يقاتلون سادة القوم وقادتهم بكل شجاعة وبسالة حتى تسيل الدماء على وجوههم محدثة طرائق يسير فيها الدم، مما يدل على كثرة الدماء وشدتها واندفاعها.

يقول الإمام: "لم يرد أن يدعي لهم الانفراد، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم، ولكن أراد الذي ذكرت لك، من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث، ليحقق الامر ويؤكده . "[٢]

وتنبيه السامعين لتنثني نفوسهم عن الظن بأن المتكلم يقصد غير الممدوحين، وتوجيههم من أول الأمر إلى الممدوحين وواقعهم دون غيرهم، من الأمور التي محضت لدلالة التقديم في البيت.

وقد استخدم الشاعر الألفاظ والأساليب التي تعينه على إبراز المثير لدلالة التقديم ومن ذلك: أنه عبر بالفعل (يضربون) ليدلل على مدى قوتهم وشجاعتهم؛ لأن لفظ (الضرب) يدل على شدة الارتطام والإيلام[٣] وكون الفعل مضارعًا أدى إلى استحضار صورة الضرب وكأنه ماثل أمام الجميع يشاهدونه؛ مما يحدث الفزع والرهبة في نفوس السامعين.

ثم بين من يكون المضروب فقال: (الكبش) بتعريفه بـ(أل) فهو السيد المقدم الذي اكتملت فيه صفات الشجاعة، المعروف لديهم فقصدهم إليه لا يخيب، والتعبير بـ (الكبش) يوحي بمدى شجاعتهم فهم لا يقصدون العامة أو الضعفاء، وإنما يقصدون القادة المدربين على القتال المحاطين بجنودهم

---

(١) شرح ديوان الحماسة ص ٥١٦ . المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ) . المحقق: غريد الشيخ . وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) الدلائل ص ١٣٠.

(٣) ينظر: لسان العرب ج١ ص٥٤٣.

فينالون منهم غير مبالين بقوتهم أو بمن حولهم.

ثم أتى بالجملة الحالية (يبرق بيضه) التي توحي بمدى اعتزاز هؤلاء القادة بأنفسهم، حتى إنهم يلبسون الخوذ البراقة فهم متأنقون في الحرب وكأنهم لن تمسسهم يد بسوء، وأنهم في ظنهم سيرجعون لديارهم بكامل لباسهم وأناقتهم المعهودة كما نزلوا منها؛ لفرط ثقتهم في شجاعتهم وقوتهم، ولكن هيهات لن يهنئوا بظنهم هذا؛ لأن من ورائهم فرسان شجعان يقاتلون بكل بسالة .

ثم قال: (على وجهه من الدماء سبائب) باستخدام حرف الجر(على) الذي يدل على الاستعلاء ليصور لنا الدماء وهي تعلو وجه هذا القائد وتغطيه كله، وتقديم الجار والمجرور (على وجهه) للتخصيص فالدماء تسيل على وجهه خاصة؛ لأنهم يقصدون الرأس بالضرب، ولا تمنعهم من الضرب تلك الخوذ البراقة آنفة الذكر التي يعتمرها القائد، مما يجعل الدماء تسيل على الوجه فتملؤه، صانعة _ من كثرتها وقوتها وشدة تدفقها _ حفر صارت طرائق في الوجه تسير فيه؛ فالدماء لكثرتها وتفرقها لا تصنع في الوجه حفرة واحدة بل حفر كثيرة، دل على ذلك التعبير بالجمع (سبائب).

فكل كلمة استخدمها الشاعر في تعبيره قصدها لإبراز أثر المثير لدلالة التقديم في البيت.

ومن البين فيه قول عروة بن أذينة :

سليمى أزمعت[١] بينا ∴ فأين تقولها أينا[٢]

(من الهزج)

يقول: إن سليمي أجمعت أمرها، ونوت الهجر وأقدمت عليه فلم يثنها شيء عما نوت عليه، ولا أعرف أين مكانها .

يقول الإمام:" وذلك أنه ظاهرٌ معلومٌ أَنه لم يُرد أن يجعلَ هذا الإِزْماعَ لها خاصة، ويجعلَها من جماعةٍ لم يُزْمِع البينَ منهُم أحدٌ سِواها. هذا محالٌ، ولكنه أرادَ أنْ يُحقِّق الأمرَ ويؤكدَه. فأَوقَعَ ذِكرَها في سَمْعِ الذي كلم ابتداء من أَول الأمر ليعلَم قَبْل هذا الحديث أنه أرادَها بالحديث، فيكون ذلك أبعدَ له من الشك"[٣]

وكونه بدأ بذكرها ليزيل شك المخاطب، ويؤكد هذا الواقع وهو أن المتكلم لا يقصد غيرها، فيتهيأ لما يذكر، جعل الأبر بدلالة التقديم هو المثير الواقعي لطائفة المحبين دون سواهم، فهو يهيئ المخاطب لتقبل ما سيذكر.

فقد بدأ الشاعر بيته بذكر محبوبته باسمها المعروفة به وقدمه ليحضرها

---

(١) أزمعت: أَزْمَعْتُه وأَزْمَعْتُ عَلَيْهِ بِمَعْنًى مِثْلُ أَجْمَعْتُه وأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ. والزَّمِيعُ: الشجاعُ المِقْدامُ المِقْدامُ الَّذِي يُزْمِعُ الأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْثَنِي عَنْهُ، وَهُوَ أَيضًا الَّذِي إِذا هَمَّ بأَمْر مَضَى فِيهِ بَيِّنَ الزَّماع، وَقَوْمٌ زُمَعاءُ فِي الْجَمْعِ. وَرَجُلٌ زَمِيعُ الرأْي أَي جَيِّدُه. لسان العرب ج٨ ص ١٤٤.

(٢) الدلائل ص ١٣٠.

شعر عروة بن أذينة ص ٢٧ . د. يحيى الحبوري . ط٢ . ١٤٠١هـ ١٩٨١م . دار القلم الكويت.

وروي البيت هكذا:

سليمى أزمعت بينا ... فأين لقاؤها أينا

نهاية الأرب في فنون الأدب ج٤ ص٢٣٠ . المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) . الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٣) الدلائل ص ١٣٠-١٣١.

شاخصة أمام المتكلم فيتوجه بكيانه إليها، مترقبًا ما سيقال عنها، وأيضًا للتلذذ بذكر اسمها.

ثم عبر بالفعل الماضي (أزمعت) ليفيد تحقق هذا الفعل دون تردد منها أو تفكير في الأمر، واختار لفظة (أزمعت) دون غيرها لما تدل عليه هذه اللفظة من أنها أجمعت أمرها وأقدمت على هذا الفعل بكل شجاعة وإصرار، غير مبالية ولا ملتفتة لما سيحدث لحبيبها جراء هذا الإزماع.

ولما أراد أن يهول من شأن البين وما أحدثه فيه من أثر كبير أتى بكلمة (بينا) نكرة فرسمت الموقف بكل وضوح؛ فهذا البين أحدث بداخله ألمًا شديدًا، فهو بين عظيم قاسٍ.

ثم أتى بهذا الاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو التحسر؛ ليدل على مدى ألمه وحسرته بسبب فراقها وبعدها عنه دون أن تعلمه بمكانها، فقال: (أين تقولها) وفي رواية أخرى للبيت (فأين لقاؤها ...) مما يدل على فقده الأمل في لقائها مرة أخرى، والدليل على ذلك تكراره للاستفهام (فأين تقولها أينا) الذي ينبئ عن الألم النفسي الجسيم الذي تسبب فيه بعدها، ولا سيما أنه أتبع لفظ الاستفهام بهذه الألف في آخر البيت فقال (أينا) لعله يجد فيها متنفسًا فيخرج بها ما بداخله من حرقة وألم.

المبحث الثاني

المثير النفسي لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة

لا ريب أن الحالة النفسية للشاعر وقت قوله للشعر لها تأثير كبير على شعره؛ فليس قوله حين يكون سعيدًا مثل قوله حين يكون حزينًا، فهو يصرف شعره حسب حالته النفسية.

فالتجربة الشعرية أو قول الشعر على العموم يكون ناتجًا عن الاتحاد العميق والقوي بين ما تعانيه النفس داخليًّا وما تشاهده في الخارج؛ فما الشعر إلا نوع من فيض النفس وتجلياتها على الوجود، فهو يعبر أصدق تعبير عن مكنونات النفس(١)

"إن الانفعال النفسي عندما يتعمّق ويقوى يغدو قادرًا على تخطي الحدود المرسومة لفهم الأشياء، فيلتقطها في تخوم الحلم والرؤيا في حالة وجودها الروحي الأول، قبل أن تأخذ أشكال الواقع بحدوده ومراسيمه، وتذعن لمنطقه، وتتشوه بأعراضه وجزئياته. ولكي ينفذ الناقد إلى البواعث الحقيقية للتجربة الشعرية لا بُدَّ له، بالإضافة إلى إلمامه بخبايا النفس البشرية، من معرفة التيارات المهمة التي تنازعت نفسية الشاعر من خلال سيرته، وهذا يعني أن الارتياد النفسي للقصيدة مرتبط أشد الارتباط بالسيرة، شريطة أن تقتصر منها على التيارات الجوهرية البعيدة الغور، التي أثرت في بعث التنازع والتعقد والالتباس في نفسه."(٢)

والناقد البصير يعلم جيدًا أن المثير النفسي له أثر كبير على قول الشاعر، وطريقة تصرفه في شعره، ومن هنا كان لزامًا أن يلم الناقد بجميع البواعث التي تدفع الشاعر وتتنازعه في تجربته الشعرية، والحالة النفسية للشاعر التي سيطرت

---

(١) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا ص ٢٦٦ بتصرف . المؤلف: د/ عفيف عبد الرحمن . الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع . الطبعة: الأولى ١٩٨٧.

(٢) السابق ص٢٦٩.

عليه ودعته للتقديم وهذا ما سيتضح من خلال هذا المبحث.

ويمكن وضع فائدة عامة عند الإمام عبد القاهر في مواقعه في الباب حيث تراه في كل موضع جعل المتكلم نفس المخاطب شريكا له في مثير التقديم وموحية، ومن ثم ينص الإمام على هذا التفاعل النفسي بين المتكلم ومخاطبه فيجعله قد ظن ظنًّا يستلزم معه أن يغير نظام الجملة، ومن هذا تعليق الإمام على التقديم في قول ابن أبي عيينة:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ∴ أطنين أجنحة الذباب يضير[1]

(من الكامل)

يقول الإمام معلقًا على هذا البيت: " جعلَه كَأنه قد ظَنَّ أنَّ طنينَ أجنحةِ الذبابِ بمثابةِ ما يَضيرُ، حتى ظن أن وعيده يضير."[2]

ففي البيت عاتب ملك وزيره فقال له: إنك لحقود فقال : أيها الملك السعيد، إن الصدر خزانة لما يودع فيه خير وشر، فإذا لم يحفظ السيئة لم يحفظ الحسنة.[3] ثم قال هذا البيت.

فالمثير النفسي هو الذي محض لدلالة التقديم؛ لأنه لما توهم أن وعيده يضير عامله مثل هذه المعاملة؛ فالحالة النفسية للمخاطب هي التي بنى عليها المتكلم كلامه وجعلته ينزل المخاطب هذه المنزلة، وهذا الأمر النفسي هو الذي دعاه للتقديم.

---

(١) البيت منسوب لابن أبي عيينة في كتب الأدب. ينظر: الكامل في اللغة والأدب ج٢ ص٢٨ . و ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ج٣ ص ٣٨١ . المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ . الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ . و الدر الفريد وبيت القصيد ج٧ ص ٤٨٣-٤٨٤.

(٢) الدلائل ص ١٢١.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ج٣ ص ٣٨١.

"لأن محض المعنى من الاستفهام، الذي تفسره بالإنكار هو تنبيه للسامع، حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع"[١]

إذن الذي أثار دلالة التقديم هو مقام مراعاة حال نفس المخاطب الذي يظن في نفسه شيئًا معينًا فيعامله المتكلم بنفس ظنه.

وقد استخدم الشاعر من الألفاظ والأساليب ما يعينه على تحقيق هدفه ومن ذلك :

التعبير بفعل الأمر في قوله: (فدع الوعيد) ليدل على استعلائه في هذا الموقف فهو الآمر بالرغم من أنه الوزير ويخاطب الملك؛ وذلك لقوة موقفه فالملك يظن أن وعيده يضير فأراد أن يثبت له عكس ذلك فأمره أن يترك وعيده؛ لأنه لا يجدي.

وعرف الوعيد بـ (أل) ليدل على أنه يعرف هذا الوعيد جيدًا فلا يخفى عليه، وكرر كلمة الوعيد وأضافها إلى كاف الخطاب في قوله: (فما وعيدك) وكان يمكن أن يأتي في هذا الموضع بالضمير فيقول: (فما هو ضائري) لزيادة التقرير والتوضيح للسامع، وأنه يعني وعيده هو لا وعيد غيره، ثم هو يواجهه بالخطاب ويجابهه به ليشعر المخاطب بقوة موقفه، وإصراره عليه وأنه لا يخافه.

والجملة المنفية (فما وعيدك ضائري)[٢] تدل على أنه ينفي أن يصيبه ذلك

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ١١٦ . المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) . المحقق: مصطفى جواد . الناشر: مطبعة المجمع العلمي . عام النشر: ١٣٧٥هـ.

(٢) ضير : ضارَهُ ضَيْرًا: ضَرَّه؛.... وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ؛ مَعْنَاهُ لَا ضَرَّ . يُقَالُ: لَا ضَيْرَ وَلَا ضَوْرَ وَلَا ضَرَّ وَلَا ضَرَرَ وَلَا ضَارُورَةَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. لسان العرب . ج٤ ص٤٩٥.

الوعيد بأي سوء أو ضرر كبيرًا كان أو صغيرًا.

ثم أتى بهذا الاستفهام الإنكاري الذي دخل على جملة ألبسها الشاعر ثوب التشبيه الضمني في قوله: (أطنين أجنحة الذباب يضير) والذي شبه فيه ضمنيًّا وعيد المخاطب بطنين أجنحة الذباب في كونه لا يصيب الإنسان بأي ضر؛ بل إن الإنسان لا يكاد يشعر بهذا الطنين أصلًا مهما حركت الذبابة جناحيها، لينكر ذلك إنكارًا قويًّا بما لا يدع مجالًا للشك، وقد أراد بهذا التشبيه التحقير من شأن كلام المخاطب؛ لأنه يشبه كلامه بطنين أجنحة أحقر المخلوقات وأضألها.

بالإضافة إلى استخدام المصدر (طنين) الذي أضفى على الحدث الثبوت والدوام، إلى جانب الإتيان بلفظي (أجنحة، والذباب) جمعًا ليقول: إنه حتى ولو اجتمع عدد كبير من الذباب وظل هذا الذباب يحرك أجنحته الكثيرة بصفة مستمرة دونما انقطاع؛ فهذا لن يحدث أي ضرر ولن يؤثر أدنى تأثير.

وبهذا استطاع الشاعر بدقة اختياره للألفاظ والأساليب أن يوضح لنا الحالة النفسية المسيطرة عليه والتي كانت المثير الرئيس لدلالة التقديم؛ فتحقق المراد على أكمل وجه.

ولما كان المثير هنا أمرًا نفسيًّا بنى عليه الإمام القول بالتمثيل في جملة التقديم، وذلك في قوله سبحانه ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ ﴾

فيقول: " فَمِمَّا هو مِنْ هذا الضربِ قولُه تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ ﴾[1] ليس سماع الصُّم مما يدَّعيه أَحدٌ فيكون ذلك للإنكار، وإنَّما المعنى فيه التمثيلُ والتَّشبيهُ، وأَنْ يُنْزَّل الذي يُظَنُّ بهم أنهم يَسْمعون، أو أنه يستطيعُ إسماعِهم، مَنْزلةَ مَنْ يَرى أنه يُسْمِعُ الصمَّ ويَهدي العُمْيَ ثمَّ المعنى في تَقديم الاسمِ وأَنْ لم يُقَلْ: "أَتُسمع الصمَّ"، هو أن يُقال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم

(١) الزخرف: ٤٠

:"أأنت خصوصًا قد أوتيت أنْ تُسمِعَ الصمَّ؟" وأن يُجْعَل في ظَنّه أنَّه يستطيعُ إسماعَهم، بمثابةِ مَنْ يَظُنُّ أنَّه قد أُوتيَ قدرةً على إسماعِ الصُّمِّ."(١)

وقد يكون المثير النفسي راجعًا إلى النفس المكلومة التي ترى في الفقد رؤية مغايرة لواقع الناس؛ كحال الأم التي ترثي ولديها فلا ترى أحدًا يماثلهما فتقدمهما في الذكر في قولها:

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ∴ شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما(٢)

كلاهمـــــــــــــــــــــــا(٢)

(من الطويل)

وَالْمعْنَى "أَنَّهُمَا كَانَا يتمتعان بالمجد أحسن تمتّع وَكِلَاهُمَا بخيل بِهِ مُدَّة اقتدارهما عَلَيْهِ خوفًا من أَن يَنَالهُ غَيرهم فيفاخرهم"(٣)

يقول الإمام: "لا شُبْهة في أنه لم يُرِد أن يَقْصُر هذه الصفةَ عليهما، ولكن نَبَّه لهما قبْلَ الحديثِ عنهما"(٤)

فليس المراد من التقديم إرادة التخصيص كما قال العلوي: "المعنى الثاني

---

(١) الدلائل ١٢٠-١٢١.

(٢) السابق ص ١٣١.

البيت قالته عمرة الخثعمية من بني تيم اللات أو من بني تيم الله بن ثعلبة ترثي ابنين لها. ينظر: أشعار النساء ص ١١٥ـ المؤلف: أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ) . حققه وقدم له: الدكتور سامي مكي العاني، هلال ناجي . الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م. و شرح ديوان الحماسة للمرزوقي الأصفهاني ص ٧٥٩.

وقيل: البيت لدرنى بنت عبعبة. ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب ج٧ ص ٦٧.

(٣) شرح ديوان الحماسة ص ٤٥٠.

(٤) الدلائل ص ١٣١.

أن لا يكون المقصود الاختصاص، وإنما المقصود التحقق، وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب، ولا يعتريه شك، وهذا كقولك: هو يعطى الجزيل، وهو الذى يجود بنفسه، فغرضك تحقيق إعطائه للجزيل، وكونه لا يبخل بنفسه، وتمكّنه في نفس من تخاطبه، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١) فخاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحقّقة بإنّ المشددة، وإنما كان الأمر كذلك؛ لأنهم فى خطابهم لإخوانهم مخبرون عن أنفسهم بالثبات والتصميم على اعتقاد الكفر مصرون على التمادي في الجحود والإنكار، فلهذا وجّهوه بالجملة المؤكدة الاسمية بخلاف خطابهم للمؤمنين، فإنما كان عن تكلف وإظهار للإيمان، خوفًا ومداجاة من غير عزم عليه، ولا شرح صدورهم به ....."(٢)

فمثير دلالة التقديم هنا هو المثير النفسي؛ فالشاعرة ترثي ابنيها بهذا البيت(٣) والمرأة عندما ترثي ولديها لا ترى غيرهما، وبالتالي لا تنظر إلى الواقع بل **تثبت** لهما أشياء وتعدد لهما صفات باعتبار نفسيتها، كما أنها أرادت نفي الشك في نفوس المخاطبين وتوجيههم إلى المتحدث عنهما من أول الأمر؛

(١) البقرة أية ١٤.

(٢) الطراز ج٢ ص١٦-١٧.

(٣) والأبيات قبل هذا البيت :

نعى ابني مخل صوت ناع أصمني ... فلا آب محبوًا بريد نعاهما

وجاز إلى الناس حتى أعجني ... يُخبرني بابني أن لن أراهما

بُنيا عجوز خرم الدهر أهلها ... فما أن لها إلا الإله سواهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

ينظر شرح ديوان الحماسة ج٢ ص ٤٨٦.

فتتهيأ نفوسهم لقبول كل ما يقال عنهما بنفس متشوقة. "والسبب في هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلًا: زيد، فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشوّق إلى معرفته، فإذا ذكرته قبلته النفس (قبول العاشق معشوقه) فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفى الشكّ والشبهة، ولهذا تقول لمن تعده: أنا أعطيك أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك إذا كان من شأن من يسبق له وعد أن يعترضه الشك في وفائه"[١]

وبعد أن قدمت الشاعرة الضمير (هما) لتحقق غرضها من التقديم، أتبعته بتلك الأوصاف التي تريد ترسيخها في ذهن المخاطب والتي تشوق هذا الأخير لسماعها بعد هذا التقديم، فأتت بتلك الاستعارة البديعة في قولها: (يلبسان المجد) فهذا المجد ليس مجرد وصف يتصفان به وإنما هو كالرداء يلبسانه فيشملهما ويغطيهما من رأسهما حتى أخمص قدميهما، فجاءت هذه الاستعارة بديعة ومعبرة في هذا الموقف، والمضارع استحضر صورتهما أمام المخاطب وجعله يشاهدهما بهذا اللباس، لباس المجد.

ولا شك أن تعريف لفظة (المجد) جعل السامع يستشعر أنه المجد المعروف الكامل الذي لا تشوبه شائبة، بالإضافة إلى التعبير بلفظة (المجد) دون غيرها لما تحمله هذه اللفظة من معاني المروءة والسخاء والشرف والكرم وطيب الأصل وكرم الأفعال والعظمة[٢]، فهما يتمتعان بكل تلك الصفات، وليس كذلك فقط بل يتصفان بهذه الصفة عن جدارة ؛ فهي تليق بهما وتناسبهما تمامًا كما أن أفعالهما تؤكد تلك الصفة، والدليل على ذلك قول الشاعرة: (أحسن لبسة).

ثم أرادت الشاعرة أن تدلل على تمسكهما بهذا المجد وأنهما لا يفرطان فيه

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ج٧ ص ٦٧.

(٢) ينظر لسان العرب ج٣ ص٣٩٥.

ولا يسمحان بأن يتفلت من بين أيديهما فقالت: (شحيحان)، و(شحيحان) أفضل في الدلالة من (بخيلان)؛ لأن الشُّحُّ : هُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ؛...والشُّحُّ أَشدُّ الْبُخْلِ، وَهُوَ أَبلغ فِي الْمَنْعِ مِنَ الْبُخْلِ... وَالشُّحُّ عَامٌّ؛ وَقِيلَ: الْبُخْلُ بِالْمَالِ، وَالشُّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ.(١)

ولما أرادت التأكيد على تمسكهما بالمجد وعدم التفريط فيه لأي سبب من الأسباب قالت: (ما اسطاعا عليه) فهما يبذلان كل ما في وسعهما وكل ما يقدران عليه للحفاظ على هذا المجد؛ حتى لا يتفلت من بين أيديهما مهما كلفهما هذا الأمر.

ثم قالت: (كلاهما) لتؤكد أن الاثنين على نفس الوتيرة، فالتمسك بالمجد والحفاظ عليه وعدم التفريط فيه هذه الأمور لا تخص واحدًا منهما دون الآخر؛ فكلاهما على نفس المستوى، فهما يعملان سويًّا على أن يبقى المجد فيهما ولا يذهب إلى سواهما.

ما تقدم من ألفاظ وأساليب في البيت مع التقديم أكد المراد من التقديم والأبر بدلالته وهو المثير النفسي.

وأيضا يقول الإمام في معرض حديثه عن أثر المثير النفسي لدلالة التقديم:

"وجملةُ الأمر أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له؛ لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام. ومن ههنا قالوا: إنَّ الشيءَ إذا أُضْمِر ثمَّ فُسِّر، كان ذلك أفخمَ له مِنْ أن يُذكَر من غير تقدمة إضمار.

ويدل على صحة ما قالوه أن نعلم ضرورةً ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا

(١) ينظر: السابق ج ٢ ص١٩٥.

﴿ تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [١] فخامةً وشرفًا وروعةً، لا نَجد منها شيئًا في قولنا: "فإن الأبصارَ لا تَعْمى"، وكذلك السبيلُ أبدًا في كلّ كلامٍ كان فيه ضميرُ قصة. فقولُه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [٢]، يُفيد من القوةً في نفيِ الفَلاحِ عنِ الكافرين، ما لو قيل: "إنَّ الكافرين لا يفلحون"، لم يستفد ذلك. ولم يكن ذلك كذلك إلا أنك تُعلمه إياهُ مِنْ بعدِ تقدمةٍ وتنبيهٍ، أنتَ به في حكْم مَنْ بدأَ وأعادَ ووطَّد، ثم بنى ولوَّح ثم صرَّح. ولا يَخفى مكانُ المزيةِ فيما طريقه هذا الطريق.

ويَشْهد لِما قلنا مِنْ أنَّ تقديمَ المحدَّثِ عنه يَقْتضي تأكيدَ الخبرِ وتحقيقَه له، أنَّا إذا تأَمْلْنا وجَدْنا هذا الضَّرْبَ منَ الكلام يجيءُ فيما سبقَ فيه إنكارٌ من مُنْكِرٍ، نحوُ أنْ يقولَ الرجلُ: "ليس لي علمٌ بالذي تقول" فتقولُ له: "أنتَ تَعْلم أنَّ الأمرَ على ما أَقولُ، ولكنك تَميل إلى خصمي" وكقول الناس: "هو يَعلمُ ذاك وإنْ أَنْكَرَ، وهو يَعلمُ الكَذِبَ فيما قالَ وإنْ حلفَ عليه "وكقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [٣]، فهذا من أَبْيَنِ شيءٍ. وذاكَ أنَّ الكاذبَ، لا سيَّما في الدِّين، لا يَعْترف بأنه كاذبٌ، وإذا لم يعترفْ بأنه كاذبٌ، كان أبْعَدَ مِن ذلك أنْ يعترِفَ بالعِلْم بأنه كاذبٌ[٤].

فمن أسباب تقديم الخبر كما يقول الإمام هو إنكار منكر فيلجأ المتكلم إلى التقديم لإزالة الإنكار من نفس السامع وتأكيد الكلام وتحقيقه.

كما يكون التقديم لأمور نفسية أخرى كإزالة الاعتراض أو الشك من نفس المخاطب ، أو في تكذيب مدعٍ، أو فيما القياس في مثله أن لا يكون، وكذلك في

(١) الحج أية٤٦.

(٢) المؤمنون أية ١١٧.

(٣) آل عمران أية ٧٥.

(٤) الدلائل ص ١٣٢:١٣٣.

كل شيء كان خبرًا على خلاف العادة، وكذلك يكثر في الوعد والضمان، ويكثر أيضًا في المدح [١].كل تلك الأمور هي أمور من الأمور النفسية التي تستدعي من المتكلم التقديم حتى يؤثر على نفس السامع ويجعله يأنس لما يلقى عليه من أخبار.

ومثير التقديم هذا كما قال الإمام: يَكْثُر في المدحِ، كقولك: "أنت تُعطي الجزيلَ، أنتَ تَقْري في المَحْلِ، أنتَ تَجودُ حينَ لا يجود أحد"، وكما قال:

ولأنــت تفــري مــا خلقــت وبعــ ض القــوم يخلــق ثــم لا يفــري[٢]

(من الكامل)

يَقُوْلُ: إنك إذا تهيأت لأمر أنفذته وأمضيته، وكثير من الناس يهم ولا يفعل. [٣] يمدح هرم بن سنان بالحزم والجزم وإمضاء العزم.[٤]

---

(١) ينظر: الدلائل ص ١٣٤.

(٢) الدلائل ص ١٣٤.

ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥٦ . شرح الأستاذ على حسن فاعور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

فَرَيْت الشَّيْءَ أَفْرِيه فَرْيًا قَطَعْتُهُ لأُصلحه، وفَرَيْت المَزادة خَلَقْتها وَصَنَعْتُها.... وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إذا كَانَ حَادًّا فِي الأَمر قوِيًّا تَرَكْتُه يَفْرِي الفرا. ويَقُدُّ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: تَرَكْتُهُ يَفْرِي الفَرِيَّ إذا عَمِلَ العَمل أَو السَّقْي فأَجاد. لسان العرب ج ١٥ ص١٥٣.

والخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : ابتِداع الشَّيْءِ عَلَى مِثال لَمْ يُسبق إِليه: وَكُلُّ شَيْءٍ خلَقه اللَّهُ فَهُوَ مُبْتَدِئه عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سُبق إِليه. السابق ج١٠ ص٨٥.

(٣) زهر الأكم في الأمثال والحكم ج٢ ص ٦١ . المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر . الناشر: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب . الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

(٤) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري» ج١ص ٥٥٧ . المؤلف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب . الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

الشاهد في البيت حيث قدم (لأنت) ومثير التقديم هو المثير النفسي؛ لأن الغرض من البيت المدح، وهو من الأمور التي تدعو المتكلم للتقديم، فهو يقدم لتشويق المخاطب وتحفيزه ليشرئب إلى سماع ما يأتي بعد هذا المقدم، فتطمئن إليه نفسه ويتقبله قبولًا حسنًا.

وهذا التقديم أتاح إسناد الفعل للضمير مرتين مرة على أنه المبتدأ، ومرة لكونه الفاعل، وبهذا يتأكد الكلام فيأنس به المخاطب ويستعد نفسيًّا لقبوله .

ومن الأمور التي عاضدت التقديم في البيت استخدام الشاعر الألفاظ والأساليب المناسبة لهذا التقديم، فقد صدر بيته بـ(لام) القسم الداخلة على الجملة الأسمية فقال: (لأنت) لتأكيد كلامه ولتقوية المعنى من أول الأمر مما لا يدع مجالًا للشك لدى المخاطب؛ لأن القسم من وسائل الإقناع التي تزيد من قناعة المتلقي واعتقاده، كما يعكس الحالة النفسية للمتكلم فهو شديد الإيمان بأفعال مخاطبه قوي الوثوق به.

وأتى بضمير المخاطب ليكون الكلام خاصًّا وموجهًا لذلك الممدوح بعينه دون غيره فهو المقصود والمعني به.

والبيت تنتشر فيه الأفعال المضارعة (تفري ، يخلق ، لا يفري) للدلالة على تجدد هذه الأفعال واستمرارها، كما كان للفعل الماضي نصيب من تعبير الشاعر حيث قال: (ما خلقت)؛ لأن الوعود قد تمت بالفعل وتحقق وقوعها، واستخدامه للاسم الموصول (ما) دون الإشارة إلى وعد معين للإحاطة والشمول؛ فأي وعد وقع من الممدوح في أي وقت ينجزه دون تقاعس.

وهذا الطباق في البيت بين (تفري) و(لا يفري) قوى به المعنى وأبرزه، كما وضح الفرق بين ممدوحه وبين غيره، فهو المنجز لوعوده، في الوقت الذي يتقاعس فيه غيره عن إنجاز وعده.

وإن كان عبر بـ(بعض) في قوله (وبعض القوم) حتى لا يعمم فيتهم بالكذب، والشاعر عندما أضاف لفظ (بعض) إلى لفظ (القوم) دون غيره كان

موفقًا؛ لأنه أراد القول أن هناك رجالًا يتصفون بالقوامة ومع ذلك لا يفون بالوعود؛ لأن لفظ القوم يطلق ويراد به الرِّجَال خَاصَّةً دُونَ النِّسَاءِ، ويُقوِّي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾[1] ... وَسُمُّوا بِذَلِكَ؛ لأَنهم قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بالأُمور الَّتِي لَيْسَ لِلنِّسَاءِ أَن يُقِمْنَ بِهَا [2] فهم رجال وقوامون ومع ذلك لا ينجزون ما يعدون به.

كل هذا يثبت ويؤكد أن المثير لدلالة التقديم في البيت هو المثير النفسي.

وكقول الآخر:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى[3] **(من الرمل)**

يفخر الشاعر بكرمه وكرم قومه فيقول: إنه وقومه يدعون الناس عامة للطعام في وقت الشتاء، ولا تكون الدعوة على مأدبة الطعام للخاصة والاغنياء فقط فهي دعوة عامة للناس جميعًا.

---

(١) الحجرات أية ١١.

(٢) ينظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥٠٥.

(٣) الدلائل ص ١٣٥.

البيت لطرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى... لا ترى الآدب فينا ينتقر

ديوان طرفة بن العبد ص٥١ . حققه عبد الرحمن المصطاوي . دار المعرفة . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م.

والجُفَالَة: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ ذَهَبُوا أَو جاؤوا. ودَعاهم الجَفَلَى والأَجْفَلَى أَي: بِجَمَاعَتِهِمْ، والأَصمعي لَمْ يَعْرِفِ الأَجْفَلَى، وَهُوَ أَن تَدْعُوَ النَّاسَ إِلى طَعَامِكَ عامَّة، .... قَالَ الأَخفش: دُعِيَ فُلَانٌ فِي النَّقْرَى لَا فِي الجَفَلَى والأَجْفَلَى أَي: دُعي فِي الْخَاصَّةِ لَا فِي الْعَامَّةِ. لسان العرب ج١١ ص١١٤.

وانْتَقَر القومَ: اخْتَارَهُمْ. وَدَعَاهُمُ النَّقْرَى إِذا دَعَا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ يُنَقِّرُ بِاسْمِ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ. السابق ج ٥ ص٢٣٠.

يقـول: لا يخـص الأغنيـاء ومـن يطمعـون فـي مكافأتـه ولكـنهم يعمّـون فيدعون جميع الناس الخاصة والعامة طلبًا للحمد ولاكتساب المجد.(١)

والشـاهد فـي البيـت تقـديم (نحـن) والمثيـر لدلالـة التقـديم هنـا هـو المثيـر النفسـي ، والفخـر كالمـدح، يقـول الإمـام: "وذلـك أن مـن شـأن المـادح أن يمنـع السامعين من الشك فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة، وكذلك المفتخر" (٢)

فالشـاعر أراد مـن أول الأمـر أن يرسـخ صـفة الفخـر فـي نفـس المخاطـب ويؤكـدها ، ويهيئـه نفسـيًّا للقبـول ويوجهـه إلـى الإقنـاع، والتصـديق فيمـا يقـول، فترسيخ تلك الصفة وإقناع المتلقي بها وتأكيدها من المثيرات النفسية للتقديم.

وبـالنظر فـي البيـت يلاحـظ أن الشـاعر بـدأ كلامـه بضـمير المـتكلم للجمـع (نحن) ليدلل من أول الأمر على أنه لا يفخر بنفسه فقط بل بقومه جميعًا، فهم في الكرم سواء لا يشذ منهم واحد.

وجاء القيد في الجملة معترضًا بين المبتدأ وخبره (في المشتاة) ليخص هذا الوقت بالإطعام لما في الشتاء من الشدة فكل إنسان في هذا الوقت يغلق بابه عليه خوفًا من البرد، بينما هو وقومه يفتحون منازلهم ويمدون المآدب الزاخرة بالطعام فيطعمون القاصي والداني، ولا ينتظرون قدوم الناس للطعام، بل يدعونهم في كل وقت دل على ذلك التعبير بالمضارع (ندعو) فدعوتهم لهؤلاء الناس مستمرة لا تنقطع، كما أن المضارع جعل المخاطب يشاهد هذه الدعوة وينظر إلى هؤلاء المدعوين إلى الطعام ماثلين أمام أعينهم.

وعبر بلفظ (الجفلى) ليوحي بأنهم لا يدعون الناس فردًا فردًا بل جماعات، فالدعوة للناس عامة، وهذه الكثرة الكاثرة من المدعوين وقتما تواجدوا يلقون مآدب

(١) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية ج١ ص ٥٦٤ بتصرف.
(٢) الدلائل ص ١٣٥.

الطعام ممتدة لا تنتهي.

ثم قال (لا ترى) بتسليط النفي على فعل الرؤية المضارع، يعني في أي وقت لا تبصر أبدا ولا تجد (الآدب فينا ينتقر) وجاء بلفظ (الآدب) اسمًا ليفيد ثبوت ولزوم تلك الصفة.

وأتى بالقيد (فينا) مع تقديمه؛ لأن هذه الصفة تخصهم دون غيرهم، متأصلة فيهم لا تخرج عنهم، وعبر بلفظ (ينتقر) دون غيره؛ لأن هذه الكلمة تجمع بين الاختيار والتفتيش كما تعني اختيار الفقير على وجه الخصوص؛ لأن النقير هو الفقير كأنه نقر[1] فهذا الذي يدعو الناس إلى الطعام لا يختار ولا ينتقي من الناس الفقراء خاصة؛ بل هو يدعو الجميع الفقير والغني القاصي والداني ، والبيت كله كناية عن الكرم الشديد؛ فقد قدم المعنى مصحوبًا بالدليل، فجاءت كل ألفاظ البيت وأساليبه وصوره تعاضد مثير دلالة التقديم في البيت .

(١) ينظر لسان العرب ج٥ ص ٢٢٨-٢٣٠.

المبحث الثالث

مثير سنن العرب في كلامها لدلالة التقديم بين نظام الجملة وتنوع الدلالة

ذاك أن للعرب سننًا وعادات في نظام الجملة عندها، وهذه السنن ترتبط بالسياق اللغوي والحالي ارتباطًا وثيقًا مما يؤثر على التقديم.

حيث تجد لهم سننًا معروفة وطرائق مألوفة في نظمها، حيث صارت كالعادة عندهم، فاطرد عليها كلامهم؛ لاتفاقهم على حسنها، وحلاوة نظمها ... فجاء نظمهم على وتيرة واحدة عليها ... وهذا الاطراد في كلام العرب له مغزى لطيف، ومذاق في النفس بديع، فإنك ترى به النظم كاشفًا عما في نفس المنشئ، مبينًا عن الغرض المراد منه... وبالجملة فإن سنن العرب في نظمها لا يدركها إلا ذو بصر بمواقع الكلام وأسراره، حيث ترى الإمام عبد القاهر يبني عليها أحكامه وقواعده، ولذا جاءت على وفق عرف اللغة وما هو مركوز في طباع الناس، وطرائقهم في نظمهم، وما هو مطرد في كلامهم.(١)

وهذا أصل رئيس عند تحليل الجملة عند القوم حيث تراهم يقدمون ذكر المحدث عنه كما ذكر الإمام لتأكيده .

ومن أبرز صور المثير للتقديم عند الإمام ما كان مثالًا عامًّا يكنى به عن غيره، ذلك أن هناك رجالًا قد اشتهروا بصفات خالدة كحاتم في الكرم، وعنترة في الشجاعة...إلخ، حتى صاروا أعلامًا فيها لا يتأتى في مثلهم عكسها.

ومن ثم كان للإمام عبد القاهر قواعد بلاغية في (مثل وغير) إذا أجريتا هذا المجرى على ما تثيره من كناية توجب تقديمها في نظام الجملة. فتقديم مثل وغير هذا من سنن العرب في كلامها وقد صرح بذلك الإمام عبد القاهر

(١) ينظر: فقه التحليل البلاغي نظرية وتطبيقًا ص ١٨ أ.د على عبد الحميد أحمد عيسى. ط١ . ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ . مطبعة السلاموني بأسيوط.

ومن شواهد ذلك تعليقه على بيت المتنبي:

مثلكَ يُثني الحزنَ عن صَوبِه ∴ ويَسْتَرِدُّ الدمع عن غَرْبِه[1]

(من السريع)

فالشاعر قدم (مثل) وهو في الواقع لا يقصد غير الممدوح فهو "يريد أنك تقدر على دفع الحزن عن قصده ، وتغلبه بالصبر ، وترد الدمع إلى قراره ومجراه، بأن تصرفه عن المجرى، وكيف لا تفعل هذا وأنت لا شبيه له"[2]

إذا المثير هنا هو اتباع سنن العرب في كلامها، فقد أراد الشاعر أن يثبت هذه الصفات للممدوح عن طريق الكناية ليكون الإثبات مصحوبًا بالدليل، ولم يقصد بذلك فردًا آخر غير الممدوح.

ومثل ذلك كما قال الإمام: "وقولِ النَّاسِ" :مِثْلُكَ رَعى الحقَّ والحُرْمَةَ"، وكقولِ الذي قال لهُ الحَجَّاجُ: "لأَحْمِلَنَّكَ على الأَدْهمِ"، يريد القَيْد، فقال على سبيلِ المغالَطةِ" : ومِثْلُ الأميرِ يَحْمِلُ على الأَدهم والأشْهب"، وما أشبهَ ذلك مما لا يقصد فيه بـ" مثْل " إلى إنسانٍ سِوَى الذي أُضيفَ إليه، ولكنَّهم يَعْنون أَنَّ

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ج١ص ٢١٦.

ثَنَى الشيءَ ثَنْيًا: ردَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ..... وثَنَيْت الشَّيْءَ ثَنْيًا :عَطَفْتُهُ. وثَناه أَي كَفَّه . وَيُقَالُ: جَاءَ ثَانِيًا مِنْ عِنانه. وثَنَيْته أَيضًا: صَرَفته عَنْ حَاجَتِهِ. لسان العرب ج ١٤ ص١١٥.

صوبه: يُقَالُ أَصابَ فلانٌ الصوابَ فأَخطأَ الْجَوَابَ؛ مَعْنَاهُ أَنه قَصَدَ قَصْدَ الصوابِ وأَراده، فأَخْطَأَ مُرادَه، وَلَمْ يَعْمِدِ الخطأَ وَلَمْ يُصِبْ . لسان العرب ج١ ص٥٣٥.

والغَرْبُ: عِرْقٌ فِي مَجْرَى الدَّمْع يَسْقِي وَلَا يَنْقَطِع، وَهُوَ كالناسُور؛ وَقِيلَ: هُوَ عرقٌ فِي الْعَيْنِ لَا يَنْقَطِعُ سَقْيُه. قَالَ الأَصمعي: يُقَالُ: بِعَيْنِهِ غَرْبٌ إِذا كانت تسيل، وَلَا تَنْقَطع دُمُوعُها. والغَرْبُ: مَسِيلُ الدَّمْع، والغَرْبُ: انْهِمالُه مِنَ الْعَيْنِ. والغُرُوبُ: الدُّموع حِينَ تَخْرُجُ مِنَ الْعَيْنِ.... والغُروبُ أَيضًا: مَجارِي الدَّمْعِ. لسان العرب ج١ ص٦٤٢.

(٢) هامش الديوان ج١ص ٢١٦.

كلَّ مَنْ كان مِثْلَه في الحالِ والصفةِ، كانَ مِن مُقْتَضى القياس ومُوجِب العُرْفِ والعادة أنْ يَفْعلَ ما ذكرَ، أوْ أن لا يفعل . ومن أجل أن كان المعنى كذلك قال:

ولَمْ أَقُلْ مثْلُكَ ، أَعني به ... سِوَاك، يا فَرْداً بلا مُشْبِهِ(١)

فالشاعر يقصد الممدوح ويعنيه بكلامه فلا يقصد بـ (مثل) غير ما أضيف إليه، وإنما أراد المبالغة، وتقديم (مثل) أعانه على ذلك؛ " لأن الغرض إثبات الحكم بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح والتقديم لإفادته التقوى أعون على ذلك" (٢) وهذا ما أراده الشاعر ، ويؤيده البيت التالي لهذا البيت الذي ذكره الإمام . فالشاعر يقول: "ولم أقل مثلك وأنا أريد غيرك وأعتقد أن سواك يشاكل قدرك، فأنت المنفرد بكل منقبة، السابق إلى غاية كل مكرمة، والأوحد في ملوك الزمان، والمنفرد فيهم بالتطول والإحسان"(٣)

وقد آثر الشاعر التعبير بالألفاظ والأساليب التي تعينه على إبراز غرضه وتوضحه، وتصور المثير الذي دعاه للتقديم.

ومن ذلك التعبير بالمضارع في قوله: (يثني، ويسترد) ليفيد التجدد والحدوث، فما من حزن إلا وهو قادر على دفعه، وما من دمع إلا وهو قادر على رده، فهو يفعل ذلك دائمًا، كما أن الشاعر أراد استحضار صورة الممدوح وهو يفعل تلك الأفعال، فيراها الجميع ماثلة أمام أعينهم، ولا يستطيع أحد إنكارها.

وعبر بكلمة (يثني) لما فيها من معنى الكف والصرف، فهو ينهي الحزن تمامًا، حتى لا يكون له وجود. وعرف (الحزن والدمع) بأل الجنسية ليفيد أن

(١) الدلائل ص ١٣٨– ١٣٩.
والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي ج١ ص٢١٦.
(٢) عروس الأفراح ج١ ص٢٥٠.
(٣) شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الثاني ج٢ ص١٦٥.

الممدوح يزيل كل جنس الحزن وكل جنس الدمع فلا يبقى منهما أي أثر على الإطلاق.

وعبر بكلمة (صوبه) في قوله: (يثني الحزن عن صوبه) ليقول إنه حتى وإن كان الحزن يقصده ويتعمده فهو قادر على دفعه وتحويل مساره عنه، والاستعارة جسدت الحزن وكأنه إنسان يقصده ويتعمد إيذاءه، والممدوح يتصدى له ويمنعه.

وعبر بكلمة (غربه) في قوله: (ويسترد الدمع عن غربه) ليوحي بأنه مهما كان انهمار الدمع وسرعته وغزارته فهو قادر على إيقافه ومنعه من منبعه.

فكل ما عبر به الشاعر أعانه على إبراز غرضه وأثار دلالة التقديم؛ حيث أثبت الشاعر أنه في الواقع يقصد بتلك الأوصاف الممدوح، ولم يقصد أحدًا سواه حين قدم (مثلك) واستهل بها بيته .

وتقديم مثل في الكلام كـ(غير) إذا قدمت يقول الإمام: " وكذلك حكمُ "غَيْر " إذا سُلِكَ به هذا المسْلَكَ فقيل: " غَيْري يفعل ذلك "، على معنى أني لا أفعلُه، لا أن يومئ بـ"غير" إلى إنسانٍ فيُخبر عنه بأن يفعلَ، كما قال: **غيري بأكثر هذا الناس ينخدع**[1] (من البسيط)

وذاك أنَّه معلومٌ أنَّه لم يُرد أن يُعرِّضَ بواحدٍ كان هناك فيستنقصُه ويصفُه بأنَّه مَضعوفٌ يُغَرُّ ويُخْدَع، بل لم يُردْ إلاَّ أن يقول: إني لَستُ ممن يَنْخَدِعُ

(١) البيت في الديوان: غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا ، أو حدثوا شجعوا
ديوان أبي الطيب المتنبي ج٢ ص٢٢١
خدع : الخَدْعُ: إِظْهَارُ خِلَاف مَا تُخْفيه.... والخَدْع : إِخفاءُ الشَّيْءِ، وَبِهِ سُمِّيَ المِخْدَعُ، وَهُوَ الْبَيْتُ الصَّغِيرُ الَّذِي يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ، وَتُضَمُّ مِيمُهُ وَتُفْتَحُ..... خدَع الضبُّ إِذا دَخَلَ فِي وِجاره مُلتويًا، وَكَذَلِكَ الظبيُ فِي كِناسه، وَهُوَ فِي الضَّبِّ أَكثر. ينظر: لسان العرب ج٨ من ص٦٣:٦٥.

وَيَغْتَرُّ "[١]

لم يرد أن يعرض بواحد يصفه بأنه ينخدع، بل أراد أنه ليس ممن ينخدع واستعمال غير ومثل هكذا، قال المصنف: إنه مركوز في الطباع، ويقدمان أبدًا على الفعل إذا قصد هذا، والسر فيه أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم.[٢]

والذي محض لهذا التقديم هو سنن العرب في تقديم (غير) فالشاعر يقول: "غيري ممن يجهل الناس ولا يعرفهم، يغر بأكثرهم فيخدعونه بالدعاء، ويغرونه بالكذب، وشأنهم، وحيلتهم، وحالهم وحقيقتهم أنهم يشجعون في حديثهم وما يعدون به من أنفسهم، ويجبنون في قتالهم، ويضعفون عند اختبارهم".[٣] فهو لا ينخدع؛ فالواقع يشير إلى ذلك ويدلل عليه، ولذا قدم (غيري)

قالوا: وكان التقديم في هذه الأساليب كاللازم؛ لأن التقديم يفيد التقوية كما قلنا، وهذه الاستعمالات من صور الكناية، والكناية يراد بها التوكيد في أداء المعنى، ولهذا كان التقديم أنسب لتتوافق دلالات الخصوصيات.[٤]

مثل (غيري يقول الباطل) وهو هنا لم يرد التعريض بأحد، وإنما صرف قول الباطل عن نفسه بلفظة (غير) والفرق بين قولك (أنا لا أقول الباطل) و (غيري يقول الباطل) أنك في الجملة الأولى نفيت الأمر عن نفسك مباشرة، وفي الثانية أسندت هذا الفعل إلى غيرك، ولا تقصد بـ (غير) إنسانًا معينًا فكأن معنى الجملة الثانية: إن الذي يغايريني في خلقي وحالي، هو الذي يقول الباطل، فنفي الفعل عن نفسه بطريق غير مباشر. وقد التزمت العرب،

(١) الدلائل ص ١٣٩.

(٢) عروس الأفراح ج١ ص٢٥١.

(٣) شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول ج١ ص٣٤٣.

(٤) خصائص التراكيب ص٢٣٤-٢٤٥.

أو كادت في مثل هذا التعبير تقديم (مثل) و (غير).[١]

وهذا ما فعله الشاعر حين قدم (غير)؛ لأن عادة العرب تؤكد ما فعله؛ فكان هذا من حسن الابتداء؛ لأنه" إذا ابتدىء بالمديح أو بغيره من الأغراض فالأحسن أن يكون الابتداء دالًا على المعنى المقصود"[٢].

وقد استخدم الشاعر الألفاظ التي تخدم مثير للتقديم، ومن ذلك أفعل التفضيل (أكثر) للمبالغة ليدل على أن الذي لا يعرف الناس ينخدع بالغالبية العظمى منهم، وهذا لا يقع منه؛ لأنه يعرفهم جيدًا وهذا يشهد به الحال والواقع، واستخدم اسم الإشارة الذي للقريب (هذا) بالإضافة إلى كونه مفردًا بدلًا من قوله: (هؤلاء الناس) للتحقير من شأنهم، وأنهم لا يعنوا له شيئًا على كثرتهم، فهم كرجل واحد يسهل عليه معرفة دواخلهم وخباياهم.

واستخدم الفعل المضارع (ينخدع)؛ ليدل على أن هذا الخداع متجدد متكرر من غيره لا منه.

ومثل ذلك قول أبي تمام :

وغيري يأكل المعروف سحتا ∴ وتشحب عنده بيض الأيادي[٣]

(من الوافر)

يقول الإمام: "لم يرد أبو تمام بقوله أن يعرض مثلًا بشاعر سواه، فيزعم أن

(١) معاني النحو ج١ ص ١٦٤ المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) سر الفصاحة ص٢٧٠ . المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية . الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ص٣٧٧ . تحقيق محمد عبده عزام . المجلد الأول الأول . ط٥ . دار المعارف.

الذي قرف به عند الممدوح من أنه هجاه، كان من الشاعر لا منه. هذا محال، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم"[١]

فالمثير لدلالة التقديم هو اتباع سنن العرب في كلامها، أي أنه ليس من هذا النوع فالشاعر " أراد أني أشكر على المعروف فآخذه كما يجب وهو مبارك لي فيه، وغيري يأخذ ويذم وهو محرم عليه، وتشحب أي يتغير لونها، يقول: بيض الأيادي عندي محفوظة لا أغيرها ولا يشحب لونها"[٢]

ولذا قدم الشاعر (غيري) ليبرئ ساحته من اللؤم وكفر النعمة، فهذا معترف به ويقره الواقع ولا ينكر.

وقد استعان الشاعر بالألفاظ الدالة والأساليب المتنوعة التي تعينه على تحقيق غرضه؛ فعبر بالمضارع (يأكل) في قوله: (يأكل المعروف)؛ لاستحضار صورة أكل المعروف بما فيها من بشاعة أمام المخاطب، كما أن قوله: (يأكل المعروف) فيه تمثيل للذي ينكر المعروف بصورة الآكل، فهو يمزق المعروف ويلتهمه كما يمزق الآكل الطعام ويمضغه ويبتلعه، كما أن العبارة فيها إيحاء بالاستلذاذ، فآكل المعروف يستلذ بذلك ويستسيغه ولا يجد في ذلك غرابة ولا استنكارًا، كما يستلذ الآكل بطعامه ويستسيغه، كما أن هذا القول فيه إيحاء بالإخفاء فآكل المعروف يحرص عل إخفائه تمامًا وعدم إظهاره، كما يفعل الآكل بإدخال الأكل في فمه ومن ثم ابتلاعه فلا يظهر له أثر بعد الأكل.

وقال(سحتًا) ليزيد من بشاعة هذا الفعل؛ لأن "السحت هو كل حرام قبيح الذكر، وقيل: ما خبث من المكاسب وحرم فلزم منه العار"[٣]، فأكل المعروف سحتًا فيه ما فيه من الخبث والعار.

---

(١) الدلائل ص ١٣٩.

(٢) ديوان أبي تمام ص٣٧٧.

(٣) ينظر: لسان العرب ج٢ ص٤١ –٤٢.

ثم تعبيره بتلك الصورة في قوله: (وتشحب عنده بيض الأيادي) فهي صورة منفرة صور فيها إنكار النعم بالشحوب وهو الضعف والهزال وتغير اللون[1] بالإضافة إلى التعبير عن النعم بـ (بيض الأيادي) ليرى المخاطب هذه الصورة المتضادة بين (تشحب وبيض) وكيف أن آكل المعروف يقلب الحقائق حتى يبدو عنده الأبيض الواضح الذي لا يخفى على ذي عينين خفيًّا شاحبًا.

وجاء بـ(الأيادي) جمعًا ليوحي بكثرتها فهو لا يرى بياضها وفضلها على كثرتها وتعددها. وهكذا استطاع الشاعر أن يعبر بالألفاظ والأساليب التي تخدم مثير دلالة التقديم.

وقد علق الأمام عبد القاهر على تقديم مثل وغير قائلًا: "واستعمال "مثل" و "غير" على هذا السبيل شيءٌ مركوزٌ في الطباع، وهو جارٍ في عادةِ كلِّ قومٍ. فأنتَ الآن إذا تصفَّحْتَ الكلامَ وجدْتَ هذين الاسمين يُقدَّمان أبدًا على الفعل إذا نُحِيَ بهما هذا النحوُ الذي ذكرتُ لك، وترى هذا المعنى لا يَسْتقيم فيهما إذا لم يُقدَّما. أفلا تَرى أَنك لو **قلت**" : يثني الحزن عن صوبه مثلك" و" رعى الحق والحرمة مثلك"، و" يحمل على الأدهم والأشهب مثل الأمير"، و" ينخدع غيري بأكثر هذا الناس"، و"يأكل غيري المعروفَ سُحْتاً"، رأيتَ كلامًا مقلوبًا عن جهتهِ، ومُغيَّرًا عن صورتِه، ورأيتَ اللفظَ قد نَبَا عن معناهُ، ورأيتَ الطبْعَ يأبى أن يرضاه".[2]

(١) ينظر:لسان العرب ج١ ص ٤٨٤.

(٢) الدلائل ص ١٤٠ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ، سيدنا محمد سيد الأولين والأخرين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين . وبعد..

فقد انتهت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

١- ربطت الدراسة بين مثير الكلام وما قرره البلاغيون في تعريف البلاغة من مطابقة لمقتضى الحال، وجعلته أساسًا رئيسًا لفهم العدول البلاغي.

٢-تحقق من هذه الدراسة أن للإمام عبد القاهر منهجًا خاصًّا في استنباط مثير دلالة التقديم، فالذي يعنيه ليس التقديم وإنما إبراز المثير الذي من أجله نطق المتكلم مقدمًا، فهو فيما قبل الكلام من الأحوال الاجتماعية وغيرها من الأمور الواقعية أو ما اعتلج في النفس قبل النطق بالكلام فاستدعاه على صورة التقديم، بينما عنى غيره بدلالته بعد النظم ووقوع الكلام.

٣- لفتت الدراسة النظر إلى أثر فقه أحوال المتكلم النفسية، وما أحيط به من مثيرات خارجية في إدراك دلالات كلامه عامة والتقديم خاصة.

٤- وضحت الدراسة أن للعرب سننًا في كلامها، وطرائق معروفة في نظمها لا يفطن إليها إلا المتذوق ذو القريحة الوقادة، التي تعينه على فهم الكلام وأسراره، ومعرفة المثير الذي جعل المتكلم يتصرف في قوله. وقد بنى الإمام عبد القاهر أحكامه على تلك السنن.

٥- اهتمت الدراسة بروافد القول ومن ثم عُنيت بتحليل أجزاء النظم الذي كان له دور في إبراز موضع التقديم ودلالته.

التوصيات:

توصي الدراسة بتتبع المثير الأبر في الدرس البلاغي لإثبات مدى تعلق البلاغيين بأحوال نفس المتكلم ، وما يحيط به عند تقرير قواعدهم، وأنهم لم يكونوا منعزلين عن النفس ومثيراتها.

كما توصي بإبراز سبق تراثنا البلاغي للحداثيين في مرونة الجملة تبعًا لمثيراتها عن طريق عقد موازنات ومقارنات بين مفردات الحداثة الرئيسة في البنيوية وما في تراثنا البلاغي.

كذلك توصي الدراسة بإدخال المثير الأبر في منهج التحليل البلاغي واعتماده أساسًا لتوجيه الدلالة في نظم الكلام عامة.

والحمد لله أولًا وآخرًا

فهرس المصادر والمراجع

١. الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا . المؤلف: د/ عفيف عبد الرحمن الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع . الطبعة: الأولى ١٩٨٧.

٢. الأدب وفنونه – دراسة ونقد . المؤلف: عز الدين إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٨هـ) الناشر: دار الفكر العربي.

٣. أشعار النساء . المؤلف: أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ) . حققه وقدم له: الدكتور سامي مكي العاني، هلال ناجي . الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٤. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) . الناشر: دار العلم للملايين . الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٥. البلاغة العربية . المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) . الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٦. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب . المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ) . المحقق: محمد مظهر بقا . الناشر: دار المدني، السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٧. التعريفات . المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) . المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٨. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) . المحقق: مصطفى جواد . الناشر: مطبعة المجمع العلمي . عام النشر: ١٣٧٥هـ.
٩. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني . المؤلف: محمد محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة . الطبعة: السابعة .
١٠. الدر الفريد وبيت القصيد . المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ – ٧١٠ هـ) . المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.
١١. دلائل الإعجاز في علم المعاني . المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) . المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ـ الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة . الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٢. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام . المجلد الأول . ط٥ . دار المعارف.
١٣. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان . ضبطه وصححه مصطفى السقا و إبراهيم الإنباري وعبد الحفيظ شلبي . الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان.
١٤. ديوان امرِئ القيس . المؤلف: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) . اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي . الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الثانية.
١٥. ديوان زهير بن أبي سلمى . شرح الأستاذ على حسن فاعور . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ . ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٦. ديوان عامر بن عقيل (ت٢٣٩هـ) . جمعه وحققه شاكر العاشور . الطبعة الأولى ١٩٧٣.
١٧. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار . المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ . الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٨. زهر الأكم في الأمثال والحكم . المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) . المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر . الناشر: الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب . الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
١٩. سر الفصاحة . المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) . الناشر: دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.
٢٠. شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري» . المؤلف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب . الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٧ م.
٢١. شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة): اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) المؤلف: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ) الناشر: دار القلم – بيروت.
٢٢. شرح ديوان الحماسة المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ) . المحقق: غريد الشيخ . وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٢٣. شَرْح شِعْر المُتَنبي – السفر الأول . المؤلف: إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفلِيلي (المتوفى:

٤٤١هـ) . دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان . الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٢٤. شعر عروة بن أذينة . يحيى الحبوري . ط٢ . ١٤٠١هـ ١٩٨١م . دار القلم الكويت.
٢٥. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت ٧٤٥هـ) . الناشر: المكتبة العنصرية بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٢٦. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) . المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي . الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٢٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه . المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) . المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد . الناشر: دار الجيل . الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٢٨. عيار الشعر محمد أحمد بن طباطبا العلوي . تحقيق عباس عبد الساتر . مراجعة نعيم زرزور . منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط٢ ٢٠٠٥ م ١٤٢٦هـ.
٢٩. فقه التحليل البلاغي نظرية وتطبيقًا . أ.د على عبد الحميد أحمد عيسى . ط١. ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ . مطبعة السلاموني بأسيوط.
٣٠. الكامل في اللغة والأدب . المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) . المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٣١. كتاب الاختيارين المؤلف: علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (المتوفى: ٣١٥هـ) . المحقق: فخر الدين قباوة .

الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٣٢. لسان العرب . المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) . الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين . الناشر: دار صادر . بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤١٤.

٣٣. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) . الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٤. معاني النحو . المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٥. مفتاح العلوم . المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) . ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٦. المفضليات . المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) . تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون . الناشر: دار المعارف – القاهرة . الطبعة: السادسة.

٣٧. نهاية الأرب في فنون الأدب . المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) . الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

□